﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [القلم: 26 - 32]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الرُّجوعُ والإنابة بعدَ الضَّلالِ والظُّلامَة

لمّا ذكرَ النَّظمُ الكريمُ النّيَّةَ المُؤكّدة لأصحابِ أهلِ الجنَّة، بحِرمانِ الفُقراء والمساكينِ منَ العَطاء والصَّدقة؛ ناسَبَ أنْ يذكُرَ نتيجةَ تلك النّيَّةِ الظّالمة، والحِرمانَ الَّذي أوقعوا أنفسَهم فيهِ لمّا رأوا ما حلَّ بجنَّتِهم من دَمارٍ وخَراب، وأثرِ ذلك في نفوسِهم الَّتي رجعَتْ إلى ساحةِ الإيمان، ونَدِمَتْ على ما فرَّطَتْ في جَنبِ اللّه ﷻ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَضَآلُّونَ﴾: (ضلَّ) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنًى واحدٍ، وهو ضياعُ الشَّيءِ وذهابُهُ في غيرِ حقِّهِ، وكلُّ جائرٍ عن الحقِّ والقصدِ ضالٌّ[1]، وضلَّ الرَّجلُ الطَّريقَ، وضلَّ عنهُ يَضِلُّ - من بابِ (ضَرَبَ) - ضَلالًا وضلالةً: زلَّ عنهُ، ولم يَهتدِ إليه، فهو ضالٌّ[2]، والضَّلال: العدولُ عن الطَّريقِ المُستقيم، ويُضادُّهُ الهداية، ويقالُ: الضَّلال لكلِّ عدولٍ عنِ المَنهَجِ عَمْدًا كانَ أو خطأً، يَسيرًا كانَ أوْ كثيرًا[3]، والمرادُ به في الآية: إمّا منَ الضَّلال عن طريقِ الجنَّة، فيكونُ معنًى حقيقيًّا، وإمّا منَ الضَّلالِ عن سبيلِ اللّه تعالى، وعدمِ الاهتداءِ إليه، فيكونُ معنًى مَجازيًّا.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضلّ).
(2) الفيوميّ، المصباح المنير: (ضلّ).
(3) الرّاغب، المفردات: (ضل).

2) ﴿مَحْرُومُونَ﴾: (حرم) أصلٌ واحدٌ، وهو المَنْعُ والتَّشديد[1]، وحَرَمْتُ الرَّجُلَ العَطيَّةَ أحْرِمُهُ حِرمانًا، وحَرُمَتِ الصَّلاةُ على المرأة تحرُمُ حُرومًا، وحَرُمَتِ المرأةُ على زَوْجها تحرُمُ حَرْمًا وحَرامًا، وحريمُ الدّار: ما دخلَ فيها ممّا يُغلَقُ عليهِ بابُها، وما خرجَ مِنها؛ فهو الفَناءُ، والمَحرومُ الَّذي حُرِمَ الخيرَ[2]، وحَرَمْتُ زيدًا كذا أحْرِمُهُ من بابِ (ضربَ) يتعدّى إلى مَفعولين، فهو مَحرومٌ[3]، والمَحرومُ مَن حُرِمَ عنِ الخير والعطاءِ والمالِ، وهو أقوى احتياجًا منَ المسكينِ والفقيرِ[4]، وهو المرادُ بهِ في الآيةِ.

3) ﴿أَوْسَطُهُمْ﴾: (وسط) بناءٌ صحيحٌ يدلُّ على العَدلِ والنَّصَفِ، وأعدَلُ الشَّيءِ: أوسَطُهُ ووَسَطُهُ[5]، والوسْطُ مُخفَّفًا يكونُ موضِعًا للشَّيء، فإذا نَصَبْتَ (السّينَ)؛ صارَ اسمًا لما بينَ طرَفَي كلِّ شيءٍ، والوَسَطُ من النّاس وكلِّ شيءٍ: أعدَلُه وأفضَلُهُ، ليسَ بالغالي ولا المُقصِّر[6]، يقالُ: شيءٌ وسَط، أي: بينَ الجيِّدِ والرَّديءِ، واليومُ الأوسَط، واللَّيلة الوُسْطى[7]، والمرادُ به في الآية: أعْدَلُهُم، وخَيْرُهُمْ عَقْلًا ودينًا، أو مَن كانَ في مرتبةٍ مُتوسِّطة من جهةِ المالِ والمُلك فيما بينَ هؤلاءِ من أصحابِ الجنَّة.

4) ﴿يَتَلَاوَمُونَ﴾: (لوم) له دلالتان، إحداهُما: العَتَب والعَذْل، والأخرى: الإبطاء[8]، ولامَهُ لَوْمًا - من بابِ (قالَ) -: عَذَلَهُ، فهو مَلومٌ على النَّقص، والفاعلُ لائمٌ، والجمعُ لوَّمٌ[9]، فهو انتقادٌ على حالةٍ أوْ عمَلٍ واقعٍ مُشافهةً، وإنْ كان في الواقعِ حُسنًا إلّا أنَّه بنظَرِ المُنتقِدِ غيرُ صالحٍ، وعلى خلافِ صَلاحِ العامِلِ، ففيهِ قيدانِ: انتقادٌ مُطلَقٌ، وفي المُشافهة[10]، والمرادُ به في الآية: إلقاءُ اللَّومِ والتَّعنيف بعضِهم على بعضٍ، معَ شُعورٍ بالتَّقصيرِ والخَطأ.

5) ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾: الويلُ: حلولُ الشَّرِّ، والوَيلةُ: الفضيحةُ والبليَّة، وإذا قالَ: (وا ويلَتاه)

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حرم).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (حرم).
(3) الفيوميّ، المصباح المنير: (حرم).
(4) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 2/ 190.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وسط).
(6) الخليل، العين: (وسط).
(7) الفيوميّ، المصباح المنير: (وسط).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لوم).
(9) الفيوميّ، المصباح المنير: (لوم).
(10) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 10/ 244.

معناه: وا فضيحتاه، ويجمَعُ على ويلات، وتقولُ: ويَّلتُ فلانًا؛ إذا أكثرتَ لهُ من ذِكرِ الوَيلِ[1]، والوَيل: كلمةٌ مثلُ ويْح، إلّا أنَّها كلمةُ عذابٍ، يقالُ: ويلَهُ ووَيلَكَ ووَيلي، وفي النُّدبةِ: ويلاه، وتقولُ: ويلَ زيدٍ، وويلًا لزيدٍ، فالنَّصبُ على إضمارِ الفعلِ، والرَّفعُ على الابتداءِ، هذا إذا لم تُضِفْه، فأمّا إذا أضفتَ؛ فليسَ إلّا النَّصبُ، لأنَّك لو رَفعتَهُ؛ لم يكُن لهُ خبرٌ[2]، والكلمةُ تُستعمَلُ في مقامِ إنشاءِ ذَمٍّ شديدٍ وقَدْحٍ أكيدٍ أوْ دُعاءٍ على ضَرَرٍ وشرٍّ، وهذا هو الأغلبُ في استعمالِها[3]، والمرادُ به في الآية: دُعاءُ الثُّبورِ والهَلاك مع التَّحسُّر والتَّندُّم.

6) ﴿طَٰغِينَ﴾: (طغى) أصلٌ صحيحٌ مُنقاس، وهو مُجاوزةُ الحدِّ في العِصيان، يقالُ: هو طاغٍ[4]، والفعلُ طَغَوْتُ، وطَغَيْتُ، وكلُّ شيءٍ جاوزَ القَدرَ فقد طَغا[5]، وطغا طَغْوًا من بابِ (قال)، وطغَى من بابِ (تَعِبَ)، ومن بابِ (نفَعَ) لغةٌ أيضًا، والطّاغوت: تاؤُها زائدةٌ، وهي مُشتقَّةٌ مِن طَغا، والاسمُ الطُّغيان، وهو مُجاوزةُ الحَدِّ، وكلُّ شيءٍ جاوزَ المِقدارَ والحدَّ في العِصيان فهو طاغٍ، وأطغَيْتُهُ: جعلتُهُ طاغيًا، وطغَى السَّيل: ارتفعَ حتّى جاوزَ الحدَّ في الكثرة[6]، فهو الارتفاعُ والتَّجاوُزُ عن الحَدِّ المُتعارَف، ماديًّا أوْ معنويًّا، والمعنى الجامعُ في مَنشأ الطُّغيان هو الاستغناءُ، وهو يُتصوَّرُ على أنحاءٍ، فكلَّما كانَ الاستغناءُ في سَعَةٍ يكونُ الطُّغيان شديدًا[7]، والمرادُ به في الآية: مُتجاوزينَ الحَدَّ في العِصيان.

7) ﴿رَٰغِبُونَ﴾: (رغب) أصلانِ، أحدُهما: طلَبُ الشَّيء، والآخرُ: سَعةٌ في شَيءٍ[8]، ورَغِبْتُ في الشَّيءِ ورَغِبْتُهُ، يَتعدّى بنفسِهِ أيضًا؛ إذا أردتَهُ، رَغَبًا[9]، ورَغِبتُ عنِ الشَّيءِ؛ إذا لم تُرِدْهُ، وزَهِدتَ فيهِ[10]، فهو الميلُ الأكيدُ، كما أنَّ الشَّوق هو الرَّغبةُ الأكيدةُ، ثمَّ إنَّ المادَّة إذا استُعمِلَتْ بحرفِ (عن)؛ تكونُ بمعنى الإعراض، أي: تدلُّ على ميلٍ عن شيءٍ

(1) العين، الخليل: (ويل).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (ويل).
(3) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 14/ 211.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طغو).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (طغو).
(6) الفيوميّ، المصباح المنير: (طغو).
(7) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: (طغو).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رغب).
(9) الفيوميّ، المصباح المنير: (رغب).
(10) الجوهريّ، الصّحاح: (رغب).

وانصرافٍ، فيقالُ: رَغِبَ عن السُّنَّةِ مالَ عنِ الحقِّ[1]، والمرادُ بهِ في الآية: مائِلونَ بالميلِ الأكيدِ إلى جانبِ اللّه المُتعال، ومُشتاقونَ إلى السَّير والسُّلوك إليه تعالى.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ضـربُ الأمـثـال لـرَدْعِ أهلِ الكُفرِ والضَّلال

والمَعنى: أنَّ أوَّلَ ما وقعَ نظرُهُم عليها، ورأوْها أنكَروها، وقالوا مُضطربينَ مُتحيِّرين: إنّا لضالّون طريقَ جنَّتِنا، ثمَّ قالوا ذلك بعدَ ما تأمَّلوا، ووقَفوا على حقيقةِ الأمر، وتيقَّنوا ما فُعِل بجنَّتِهم مُضربينَ عن قولهم الأوَّل: (لَسْنا ضالّين بل نحن محرومونَ، حُرِمنا خيرَها بِجنايتنا على أنفُسِنا وسوءِ نيَّتِنا وقصدنا حِرمانَ الفقراءِ)، قال أعدَلُهم وخيرُهم: (هلّا تذكرونَ اللّهَ، وتتوبونَ إليه من خُبث نيَّتِكم؟)، فعَصَوه، فوبَّخَهم فيما بعدُ، وقالوا بعد أنْ ثابوا إلى رُشدِهم، ورَجَعوا إلى عُقولهم: نُسبِّحُ اللّه، ونُنَزِّهُهُ عن الظُّلم وعن كلِّ قبيح، ثمَّ اعترفوا بظُلمهم ومنعِ المعروفِ عن مُستحقّيه، والبخلِ بما كان يُعطيهِ والدُهم للفقراءِ والمَساكين، فأقبلَ بعضُهم على بعضٍ، يلومُ كلٌّ منهم الآخرَ في القَسَم والحَلف على منعِ المساكين، أي يقولُ: بل أنتَ أشرتَ علينا بهذا، فإنَّ مِنهم مَن أشارَ بذلك، ومنهم مَن استحسَنَهُ، ومِنهم مَن سكت راضيًا، ومِنهم مَن أنكرَهُ، قالوا: يا عَذابَنا وهَلاكَنا إنّا كنّا طاغين، ونرجو اللّه أنْ يُعوِّضَنا خيرًا من جنَّتنا، ويُعطينا بدلًا منها ببركةِ التَّوبةِ والاعترافِ بالخطيئة، إنّا إلى ربِّنا لا إلى غيرِهِ راغبونَ، راجونَ العفوَ، طالبونَ الخيرَ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

مَعنى (الفاء) في ﴿فَلَمَّا﴾ والغرضُ منها:

رؤيـةُ الـدَّمـارِ الشَّنيع بإضمارِ العمَلِ الفَظيعِ

عطفَ النَّظمُ الكريم الجملةَ الفعليَّة، في قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا

(1) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 4/ 160.
(2) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 1534 - 1536.

﴿قَالُوٓاْ﴾ على ما قبلَها؛ للدَّلالة على التَّعقيبِ والتَّسبُّب؛ إذ أعقبَ الغُدوَّ على الجنَّة رؤيةُ ما حلَّ بها، وما صدرَ منهم من قولٍ بعدَ الرُّؤيةِ، كما تسبَّبَتْ عن إضمارِ العملِ الشَّنيع الرُّؤيةُ للدَّمارِ العَنيف.

مَعنى (لمّا) والغرضُ مِنها:

رَبْطُ القول برُؤْيةِ الهَول

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بـ(لمّا) الموضوعةِ؛ للدَّلالة على الشَّرطيَّة الظَّرفيَّة الحينيَّة، في قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ﴾؛ للدَّلالةِ على ربطِ القولِ بالرُّؤيةِ ربطَ الجوابِ بالشَّرط، وربطَ المسبَّب بالسَّبب، وأنَّ قولَهم ذلك ارتبطَ بزمنِ الرُّؤية، وفي ربطِه بزمَنِ الرُّؤية بطريقِ الشَّرط والمشروط ما يدلُّ على سُرعةِ تسبُّبِ القولِ عن تلك الرُّؤية، قال ابنُ عاشور: "وأفادَتْ (لمّا) اقترانَ جَوابِها بِشَرْطِها بِالفَوْرِ والبَداهَةِ"[1]، ويفيدُ الصَّدمةَ الشَّديدة والهولَ المُرافق لتلك المُشاهدةِ وما حَمَلتْهُ من عُنصُرِ المُفاجأةِ والإيلام.

دلالةُ فعلِ (الرُّؤية) مادَّةً وصيغةً:

الرُّؤيةُ البصريَّة تـــدلُّ عـلى الحقيقةِ دلالةً قطعيَّة

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بفعلِ (الرؤية) الماضي، في قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ﴾؛ للدَّلالة على وقوعِ الرُّؤيةِ البصريَّة[2] والمُشاهدةِ العينيَّة اليقينيَّة على سبيلِ التَّحقُّق، وأنَّه قد صدرَ منهم الفعلُ بما لا سبيلَ للشَّكِّ فيه، وتدلُّ مادَّةُ الرُّؤيةِ على الاقترابِ من الجنَّة؛ اقترابًا سمحَ لهُم بمُشاهدتها عن كثَبٍ؛ إذ البصرُ إنَّما يُدرِكُ ما يقَعُ تحتَ مَرأى العينِ لقُربِه ووُضوحِه، فلم يكُنْ عِلمُهم بالمآل عن طريقِ حاسَّة السَّمع الَّذي يحتملُ الصِّدقَ والكذب، بل اقترَبوا، ورَأوا بأُمِّ أعيُنِهم نتيجةَ تلك الأفعالِ والنّيّات السَّيِّئة.

نُكْتَةُ إسنادِ فعلِ الرُّؤية إلى ضَميرِ الجَمْع (الواو):

أسندَ النَّظمُ الكريمُ فعلَ الرُّؤيةِ إلى ضميرِ الجَمع (الواو)،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 85.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 124.

وقوعُ الرُّؤيةِ منَ الجميعِ يدلُّ على التَّصميمِ الجماعيِّ الشَّنيع

في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ تلك الرُّؤيةَ قد صدرَتْ من جميعِهم، وأنَّهم قد تحقَّقوا ذلك بطريقِ التَّوافُق على تلك الرُّؤية، ممّا يُفيدُ حضورَ الجميعِ للصَّرم وتنفيذِهم ما اتَّفقوا عليه، وبيَّتوهُ، قال ابنُ عاشور: "وإسنادُ هَذِهِ المَقالَةِ إلَى ضَميرِ أصحابِ الجَنَّةِ يَقتَضي أنَّهُم قالوهُ جَميعًا، أي: اتَّفَقوا على إدراكِ سَبَبِ ما أصابَهُم"[1].

سرُّ التَّعبيرِ بضَميرِ الغائِبِ في ﴿رَأَوْهَا﴾:

رُؤْيَةُ الخَراب دالٌّ على سوءِ العَذاب

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بضَميرِ الغَيبة المَنصوب في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ﴾؛ للدَّلالةِ على الجنَّةِ الَّتي هُم بصَدَدِ صَرْمِها وحَرمِ الفُقراءِ مِن عطائِها، والضَّميرُ وإنْ عادَ إلى لفظِ الجنَّة، لكنَّه أُريدَ به: مَوقِعُها ومَكانُها؛ لأنَّ الجنَّة قدِ استحالَتْ إلى خرابٍ مُحترقٍ، لكنَّه حذفَ الموقعَ والمكانَ، وأبقَى قولَه: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ دليلًا عليه؛ بناءً على أنَّ الضَّلال بمعنى: عدمِ الاهتداءِ إلى طريقِها ومَكانها ومَوقِعِها، أو أنَّ الضَّميرَ عادَ إلى الجنَّة بدلالةِ ما آلَتْ إليه، وانقلبَتْ إلى صِفتِهِ في قوله: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾، ولذا لم يقُلِ النَّظمُ: (فلمّا رأَوُا الجنَّة)؛ إذ لم تعُدْ كذلك بعدَ ذلك الدَّمارِ الَّذي حلَّ فيها.

دلالةُ فعلِ (القولِ) مادَّةً وصيغةً:

إلقاءُ الكلامِ للتَّخلُّصِ من هَوْلِ الاصطِدام

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بفعلِ (القَوْل) ماضيًا، في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ﴾؛ للدَّلالة على صُدورِ ذلك القولِ منهُم على سبيلِ التَّحقُّقِ والحُصول، وأنَّه صادرٌ منهم بشكلٍ متحقِّقِ الوقوع، وتفيدُ مادَّةُ القولِ أنَّهم تلفَّظوا بذلكَ المَقول، وطاوَعَتْهُم ألسنتُهُم مُطاوعةً ظاهرةً، حتَّى انسالَ منهم الكلامُ بكلِّ انسيابٍ وهُدوء؛ إذ لم يَجِدوا مُتنفَّسًا إلّا بالحديث، خُروجًا من تلك الصَّدمةِ وهَوْلِها، وقدِ اختارَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 85.

النَّظمُ مادَّةَ القولِ؛ لبيانِ أنَّهم تركوا أُسلوبَ التَّخافُتِ والتَّهامُسِ في الحديث، فانطَلَقوا بكلِّ حرّيَّةٍ للحديثِ المَسموعِ، وقدَّر البيضاويُّ صدورَ القولِ منهم أوَّلَ ما رَأوها؛ لدفعِ التَّخالُفِ بما قالوه فيما بعدُ معترفينَ بالحِرمانِ، لكونِهِ بعدَ التَّأمُّلِ والنَّظر[1].

دلالةُ الجُملةِ الفعليَّةِ الجوابيَّة على التَّعريض ﴿قَالُوٓاْ﴾:

حـدوثُ القـولِ والمَـقـول بعـدَ رُؤيةِ ذلك المَهول

أوقعَ النَّظمُ الكريم الجملةَ الفعليَّةَ جوابًا للشَّرط، في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ للدَّلالة على حدوثِ ترتُّبِ القولِ والمَقول وتسبُّبِه عن تلك الرُّؤيةِ الصّادمة، وأنَّ القولَ صدر منهم عقيبَهُ بكلِّ مُسارعة دونَ تأخُّرٍ أوْ مُهلةٍ، قال ابنُ عاشور: "والمَقْصودُ مِنْ هذا التَّعْريضُ لِلمُشْرِكينَ؛ بأن يكونَ حالُهُم في تَدارُكِ أمْرَهم وسُرْعَةِ إنابَتِهِمْ كَحالِ أصْحابِ هَذِهِ الجَنَّةِ؛ إذ بادَروا بالنَّدَمِ، وسَألوا اللّه عِوَضَ خَيْرٍ"[2].

نُكْتَةُ التَّوكيدِ بـ(إنَّ واللّام):

تنـزيـلُ المُتكلِّـمِ المُـخـبِر مَـنـزلـةَ المُخاطَبِ المُنكِر؛ إظـهـارًا للنَّدامةِ والتَّحسُّر

أكَّدَ النَّظمُ الكريمُ المقولَ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ باللّام وإنَّ والجُملة الاسميَّة؛ للدَّلالة على نفي كلِّ شكٍّ في ضَلالهم، ولمّا كان المقولُ صادرًا منهم لأنفُسِهم، فقد نزَّلوا أنفسَهم منزلةَ المُنكرينَ، فخاطَبوا أنفسَهُم بالتَّوكيد؛ ردًّا على إنكارِهم التَّنزيليِّ، قال ابن عاشور: "وأكَّدوا الكَلامَ لِتَنزيلِ أنْفُسِهم مَنْزِلَةَ مَن يَشُكُّ في أنَّهُمْ ضالّونَ طَريقَ الخَيْرِ؛ لِقُرْبِ عَهْدِهم بالغَفْلَةِ عَن ضَلالِهم، فَفيهِ إيذانٌ بالتَّحَسُّرِ والتَّنَدُّم"[3]، ويظهر في دلالة (التَّوكيد) رغبتُهُم القويَّةُ في توكيدِ ضَلالهم، ولا سيَّما إنْ كان بمَعنى: التّيهِ عن طريقِ الجنَّة؛ رغبةً منهم في تحقيقِ أنَّهم تائهونَ، وقد دخَلوا من طريقٍ آخَر، وأنَّ الموقعَ الَّذي رَأوهُ لا يعودُ إلى مكانِ جنَّتِهم بِصِلةٍ.

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 237.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 85.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 86.

تحديدُ أوصافِ مَرجِعِ ضميرِ المُتكلِّمين (نا):

الحُكْمُ على الضَّمير بمُحتواهُ الكثير

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بالضَّمير الموضوعِ للمتكلِّم ومعَهُ غيرُهُ، في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ للدَّلالةِ على تعيينِ الذَّواتِ وتشخيصِها، بغيةَ إسنادِ الضَّلالِ إليها، والضَّميرُ يعودُ إلى مَرجِعِه بكلِّ حُمولتِهِ الوصفيَّة، مِن كونِهم قد أقسَموا على الصَّرمِ وحِرمانِ الفقراء، والانطلاقِ إلى الحرثِ، وهم يَتخافتونَ في الحديثِ، ومِن ثَمَّ يترجَّحُ كونُ (الضَّلال) المُسندِ إليهم بمعنى: عدمِ الاهتداءِ إلى الحقِّ، والاعوجاجِ عنِ الصِّراطِ المُستقيم.

دلالةُ صيغةِ اسمِ الفاعل (ضالّون) مادَّةً وصيغةً:

اتِّصافُهُم بالضَّلال دائمٌ بلا زَوال

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بلفظِ اسم الفاعلِ، في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ الدّالِّ بصيغتِهِ على الاتِّصافِ بالضَّلال على الدَّوام؛ إذِ المُرادُ به هنا مدلولُ الصِّفةِ المشبَّهة، التي تُفيدُ ثبوتَ الوصفِ لموصوفِها بالدَّوام، فقد قامَ وصفُ الضَّلال بهم، وتلبَّسَ بدواخِلِهم، ولازمَهُم مُلازمةً فعليَّةً على سبيلِ الثُّبوت بلا زَوال، كما أفادَتِ المادَّةُ دلالةَ التّيهِ والضَّياع عن الطَّريق والصَّواب، ولذا كانَ مقابلُه الهُدى والاهتداء.

(ضالّون) بينَ الحقيقةِ والاستعارة:

الضَّلالُ عنِ الحقِّ المُبين تضييعٌ للطَّريقِ المُستقيم

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بلفظِ (ضالّون)، في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ للدَّلالةِ إمّا على الحقيقةِ اللُّغويَّةِ المُتبادرةِ من إطلاقِ لفظِ (الضَّلال)، وهو إضاعةُ الطَّريقِ الحسّيِّ الموصِلِ إلى جنَّتِهم؛ إذ لمّا صُدِموا برُؤيةِ ما آلتْ إليه مِن خراب واحتراقٍ ودمارٍ، أخبروا أنَّهم قد أضاعوا الطَّريقَ الحقيقيَّ الَّذي يوصِلُ إلى جنَّتِهم؛ إذْ مِن شدَّةِ الاحتراقِ والاختلالِ اعتقَدوا أنَّهم قد تاهوا في الطَّريق، وإمّا على المجازِ الَّذي تدلُّ عليه القرائنُ، فيكونُ (الضَّلالُ) بمعنى: عدمِ الاهتداءِ إلى طريقِ اللّه ودينِهِ القَويم، والاعوجاجِ والانحرافِ عنِ الدّين وأوامِرِه ونَواهيه، فيكون لفظُ (الضَّلال) مُستعارًا بعدَ

تشبيهِ الضَّياعِ عن الطَّريقِ الحسّيِّ بعدمِ الاهتداءِ إلى الحقِّ المعنويِّ، فحذَف النَّظمُ المشبَّهَ، وأبقَى المشبَّهَ به على سبيل الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّة، والقرينةُ على المجازِ حالُهُم منَ الإقسام على الاستئثارِ بالخيراتِ، وحِرمان الفُقراء من أدنى الصَّدقات، ومُعتقِدُ ذلك ضالٌّ مُبين.

دلالةُ الجُملةِ الاسميَّة ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾:

عبَّر النَّظمُ الكريم عَن مَقولهم بلفظِ الجُملة الاسميَّة، في قولِهِ تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ للدَّلالةِ على ثبوتِ هذا الوصفِ فيهم على سبيلِ الاستقرار والدَّوام، فقد تلبَّسوا بالضَّلال، ولازَموه مُلازمةً واقعيَّةً لم ينفكّوا عَنها، ولم تتخلَّ الضَّلالة عنهُم فيها، والجملة تحتملُ الخبريَّةَ احتمالًا راجِحًا، ولا يبعدُ أنْ تكونَ إنشائيَّةً للاستفهام؛ إذ لمّا رأوْها سَوداءَ مُحترقةً؛ صدرَ منهم القولُ بالاستفهامِ الحقيقيِّ، هل نحنُ ضالّون؟ أي: أضَلَلْنا أم لم نَضِلَّ في الطَّريق؟ فأجابوا أنفُسَهم بعدَ التَّأمُّل: إنَّهم مَحرومونَ.

الضَّلالُ المُستمِرُّ مُـؤذِنٌ بـخَـرابٍ مُستعِر

دلالةُ الكنايةِ في ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾:

كنَّى النَّظمُ القرآنيُّ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ عن كونِ ما أصابَهم جرّاء إهمالِهم فضيلةَ الشُّكرِ على النِّعمة واقترافَهم البَطَر عليها، وغمطَ الحُقوق، والتَّكبُّرَ على الشَّرع الموصي بحُقوقِ الفُقراء؛ إذِ الإخبارُ عنِ النَّفس بأنَّها في ضَلال ليسَ فيه إلّا الاعترافُ بعدمِ الاهتداء، فيكونُ اللّازمُ منه، وهو وقوعُ العقاب بسببِ تركِ الشُّكر، وعُقوق الحقِّ وجَحْدِ الواجب، قال ابنُ عاشور: "وهوَ كِنايَةٌ عَن كَوْنِ ما أصابَهُمْ عِقابًا عَلَى إهمالِ الشُّكْرِ"[1].

الاعـتـرافُ بعدمِ الاهـتـداء يَـلـزَمُـه الإقـــرارُ بسببِ الابتلاء

تأثُّرُ دلالةِ ﴿بَلْ﴾ بالمَعنى الحقيقيِّ والمَجازيِّ للضَّلال:

يتأثَّرُ تحديدُ دلالةِ (الحرف) بسياقِهِ؛ لتوقُّفِ فهْمِ مَعناهُ على

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 85.

غيرِه، وذلك يظهَرُ في قولِه تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝٢٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾؛ إذ عبَّر النَّظمُ بالحرفِ ﴿بَلۡ﴾ الموضوعِ للإضرابِ، لكنَّهُ يحتملُ أنْ يكونَ إضرابًا انتقاليًّا، أو إضرابًا إبطاليًّا، وكِلتا الدَّلالتينِ الاستعماليَّتَينِ تَرتبطانِ بمعنى (الضَّلال) في قولِه: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ حقيقيًّا كانَ أو مَجازيًّا؛ فإنْ كانَ (الضَّلال) بالمعنى الحقيقيِّ، وهو التّيهُ عنِ الطَّريقِ الحسّيِّ الموصِلِ إلى جنَّتِهم، فإنَّ ﴿بَلۡ﴾ تكونُ حينَئذٍ للإضرابِ الإبطاليِّ[1]؛ إذ أبطَلوا تيهَهُم وضياعَهم الحسّيَّ، وأثبتوا أنَّهم ليسوا تائهينَ، بل هُم على الطَّريقِ الصَّحيح، وواقفونَ أمامَ جنَّتِهم، لكنَّ النَّظمَ عدلَ بالإبطالِ عنِ القول: (بل نحنُ أمامَ جنَّتِنا) مثلًا، إلى القولِ: ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾؛ ليكونَ منَ التَّعبيرِ عن ذلك بطريقِ الكِناية؛ إذ يَلزمُ من وقوعِ الحِرمانِ منَ الخيراتِ بعدَ إثباتِ ضلالِهم الحسّيِّ أنَّهم واقفونَ أمامَها مِن دونِ انتفاعٍ بخَيراتها، فذَكرَ النَّظمُ اللّازمَ؛ لاستلزامِه ذلك مع دلالةِ الحِرمان، وإنْ كانَ (الضَّلال) بالمعنى المجازيِّ، وهو عدمُ الاهتداءِ إلى الحقِّ المعنويِّ؛ فإنَّ ﴿بَلۡ﴾ تكونُ للإضرابِ الانتقاليِّ؛ إذ انتقَلوا مِن وصفِ أنفسِهم بعدمِ الاهتداءِ، إلى وصفِ أنفسِهم بوقوعِ الحِرمانِ عليهِم.

أثرُ المَجازِ والحَقيقةِ في الإضرابِ عن سوءِ الطَّريقة

دلالةُ ضميرِ المتكلِّمِ ﴿نَحۡنُ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بلفظِ الضَّميرِ المُنفصِلِ الموضوعِ للمُتكلِّمِ ومعَهُ غيرُهُ، في قولِه تعالى: ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على تعيينِ الذَّوات وتشخيصِها بقرينةِ التَّكلُّم، حاملةً تلك الذَّواتُ صفةَ (الضَّلال)، وحينَئذٍ يكونُ إثباتُ الحِرمان لها إثباتًا بالعِلَّةِ؛ إذ ضلالُهُم أوقعَهُم في المَحروميَّة.

ضلالُ المُتكلِّمين جالبٌ لهُمُ الحِرمانَ المُبين

دلالةُ تقديمِ المُسنَدِ إليه ﴿نَحۡنُ﴾:

قدَّمَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ المُسندِ إليه ﴿نَحۡنُ﴾ على المُسنَدِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 86.

﴿مَحْرُومُونَ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على تقويةِ الحُكمِ لا للحصرِ، وإنْ صحَّ بالإضافةِ إلى بساتينِ غيرِهم[1]، وقيلَ للدَّلالةِ على التَّخصيصِ، وأوضحَهُ ابنُ عاشور بقوله: "فالحِرْمانُ الأعْظَمُ قَدِ اخْتُصَّ بِهِمْ؛ إذْ لَيْسَ حِرْمانُ المَساكينِ بِشَيْءٍ في جانِبِ حِرْمانِهِم، والكَلامُ يُفيدُ ذَلِكَ؛ إمّا بِطريقِ تَقديمِ المُسْنَدِ إلَيْهِ بِأنَّ أُتِيَ بِهِ ضَميرًا بارِزًا، مَعَ أنَّ مُقْتَضَى الظّاهِرِ أنْ يَكونَ ضَميرًا مُسْتَتِرًا في اسمِ المَفْعولِ مُقَدَّرًا مُؤَخَّرًا عَنهُ؛ لأنَّهُ لا يُتَصَوَّرُ إلّا بَعدَ سَماعِ مُتَحَمَّلِهِ؛ فَلَمّا أُبْرِزَ الضَّميرُ، وقُدِّمَ؛ كانَ تَقْديمُهُ مُؤْذِنًا بِمَعنَى الاخْتِصاصِ، أي: القَصْرِ، وهوَ قَصْرٌ إضافيٌّ، وهذا مِن مُسْتَتْبَعاتِ التَّراكيبِ والتَّعْويلِ على القَرائِنِ"[2]، وإنَّما عدلَ النَّظْمُ عن القصرِ الواضحِ بطريقِ التَّعريفِ بالقول: (بل نحنُ المَحرومونَ)؛ للدَّلالة على أنَّ عقابَ الحِرمان متجدِّدٌ ومُتكرِّرٌ؛ ليرتدعَ المُخاطَبونَ من أهلِ مكَّةَ وغيرِهم عن ضَلالِهُم المُبين.

الحِرمانُ الكثير مُناسِبٌ للجُرمِ الكَبير

دلالةُ الجُملةِ الاسميَّة ﴿نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بالجُملةِ الاسميَّة، في قوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾؛ للدَّلالة على الثُّبوتِ والدَّوام، وفي ذلك إشارةٌ رادعةٌ إلى أنَّ كلَّ منِ اتَّصف بالضَّلال على سبيلِ الدَّوام والثُّبوت فإنَّه محرومٌ من الخيرِ على سبيلِ الثُّبوت والدَّوام أيضًا؛ إذِ الضَّلال عن الحقِّ حِرمانٌ وضيق.

مُلازَمةُ الضَّلالِ والبُهتان موصِلٌ للحِرمان

سرُّ تركِ التَّأكيدِ في ﴿نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾:

لم يُؤكِّدِ النَّظمُ الجملةَ الاسميَّةَ في قولِهِ تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾، كما أكَّدَ الجملةَ الاسميَّة في قوله: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ لأنَّ إثباتَ ضَلالهم محلُّ إنكارٍ لهم، ومن ثَمَّ كانَ التَّأكيدُ مطابقًا للحال،

تـوكـيـدُ الـكـلام عـلـى حَـسَـبِ مُقتضى المَقام

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 237.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 86.

وأمّا الاعترافُ بالحِرمان بعدَ ﴿بَلْ﴾ الإضرابيَّة، فليس في محلِّ الإنكار والرَّفض؛ لأنَّهم أبطَلوا، وانتقلوا مِن الضَّلال إلى الاعتراف، ومن ثمَّ كانَ عدمُ التَّوكيد هو اللّائق بمُقتضَى الكَلام.

دلالةُ لفظِ ﴿مَحْرُومُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بلفظِ ﴿مَحْرُومُونَ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾؛ للدَّلالة على وقوعِ الحِرمان عليهم؛ إذ (محرومٌ) اسمُ مفعولٍ وُضِعَ؛ ليَدُلَّ على وقوعِ الفعلِ على مَفعوله، وهو دالٌّ على ثبوتِ الاتِّصاف بالحِرمانِ على سبيلِ اللُّزوم وعدمِ الانفكاك بمعونةِ المقام، كما تُفيدُ مادَّةُ الفعلِ المنعَ من الإفادةِ مِن خيراتِ جنَّتهم، وكأنَّها حُرِّمَتْ عليهم؛ إذ حَرَصوا على حِرمانِ الفُقراء القليلَ منَ العَطاءِ، فخَسِروا همُ القليلَ والكثير معًا، ومِن ثمَّ كانت خسارتُهم أشنعَ مِن خَسارة الفُقراء؛ إذ كانَ حِرمانُهم أعظمَ وأنكى[1].

خَسارةُ الأغنياءِ المنعَّمين أشدُّ مِن خَسارةِ الفُقراءِ المَنوعين

دلالةُ حذفِ مُتعلَّقِ ﴿مَحْرُومُونَ﴾:

حذفَ النَّظمُ الكريم متعلَّقَ اسمِ المفعولِ ﴿مَحْرُومُونَ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾؛ لأنَّ الفعلَ (حَرَمَ) يتعدّى إلى مفعولين، والتَّقديرُ: إمّا مَحرومونَ خيرَها ونعيمَها، أوْ مَحرومونَ رحمةَ الله تعالى، ولعلَّ حذفَ المتعلَّقِ لتحقيقِ تينِك الدَّلالتين، قال الهرريُّ: "وفي الآيةِ دليلٌ على أنَّ العزمَ على المعصيةِ ممّا يُؤاخَذُ به الإنسان؛ لأنَّهُم عَزَموا على أن يفعَلوا، فعوقِبوا قبلَ فعلِهم، والعزمُ: قوَّةُ قصدِ الفعلِ والجَزمِ بهِ، والمُحقَّقونَ على أنَّهُ يُؤاخَذُ به، وأمّا الهمُّ - وهو ترجيحُ قصدِ الفعلِ - فمَرفوعٌ"[2].

المَحرومُ مِنَ الخيرِ واقعٌ في كلِّ شرٍّ وضَيْرٍ

سرُّ الفصلِ في ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾:

فصلَ النَّظمُ الكريم قولَهُ تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾؛ لأنَّه جارٍ على

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 609.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 97.

طريقةِ المُحاورة، والأصلُ فيها العطفُ، لكن لمّا كان الحوارُ جاريًا ودالًّا عليه تُرِك العاطفُ لدلالةِ المُحاورة، والغرضُ من نقلِ هذا الحوار بيانُ موقفِ أحدِ الإخوة المعارضِ لشرِّ إخوتِه من أوَّلِ الأمر، لكنَّ النَّظمَ لم يَذكُره في بدايةِ القصَّة عندما أقسَموا، وتنادَوا؛ لأنَّه لم يكن لكلامِه أثرٌ في تغييرِ موقفِهم، حتّى إذا شعَروا بالضَّلال، وعَلِموا الحِرمان؛ جاءَ البيانُ كاشفًا عن ذلك الموقفِ الرّافضِ لموقِفِهم، الدّاعي لهم بعدمِ الإقدامِ على تلك الشَّناعة؛ لأنَّهم سَيتأثَّرونَ بكلامِه ووَعظِه، قال الرّازيُّ: "إنَّ القَوْمَ حينَ عَزَموا على مَنْعِ الزَّكاةِ، واغتَرّوا بمالِهم وقوَّتِهم؛ قالَ الأَوْسَطُ لَهُم: توبوا عَن هَذِهِ المَعْصيَةِ قَبْلَ نُزولِ العَذابِ، فَلَمّا رَأَوُا العَذابَ؛ ذَكَّرَهُم ذَلِكَ الكَلامَ الأَوَّلَ، وقال: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾، فَلا جَرَمَ اشتَغَلَ القَوْمُ في الحالِ بِالتَّوبَةِ"[1].

تأخيرُ الموقفِ الرّافضِ لحينِ الوُقوعِ في الشَّرِّ الفاضِح

دلالةُ فعلِ (القولِ) مادَّةً وصيغةً:

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بفعلِ (القول) ماضيًا، في قولِه تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾؛ للدَّلالة على صُدورِ ذلك القولِ وتحقُّقِ حُصوله منه؛ إذِ الفعلُ الماضي يدلُّ بصيغتِه على إنجازِ الحدثِ في الزَّمنِ الغابِر، ودلَّتْ مادَّةُ (القولِ) على التَّلفُّظ بكلامٍ مناسبٍ لحالِ حِرمانهم، وفي تلك المادَّة شيءٌ من الشِّدَّةِ المُنسابةِ في حديثِه؛ تَنديمًا لهم على سوءِ اختيارهم وشُرورِ نيّاتهم؛ إذ توجيهُ القولِ للظّالم بعدَ شعورِه بالحِرمان يكونُ مؤَنِّبًا ومُعنِّفًا له على سوءِ الاختيار.

الصَّدحُ بالقَول عندَ شُعورِ الظّالمِ بعدَمِ الحَوْل

نُكْتَةُ التَّعبيرِ باسمِ التَّفضيلِ ﴿أَوْسَطُهُمْ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بصيغةِ (اسمِ التفضيل)، في قولِه تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه يَنتمي لهُم بالأخوَّة، لكنَّهُ أفضَلُهم وأعدَلُهم و"أرجَحُهم رَأيًا، وأحسَنُهم تدبيرًا"[2]، واسمُ التَّفضيل على

الأخُ الأوسَطُ الفاضِل، كالنَّبيِّ الكريمِ الكامِل

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 609.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 97.

غيرِ بابِهِ؛ إذ هو الفاضلُ والعادلُ والعاقلُ من بينِهِم، ولا يَعني أنَّه الأخُ الأوسطُ في ترتيبِهِم العدديِّ، كما يتبادرُ لأوَّلِ وهلة، بل الوسطيَّةُ هنا بمعنى العَدالةِ في كلِّ أمرٍ، والأفضليَّةِ في كلِّ قرارٍ يُتَّخَذ، وفيه رمزٌ خفيٌّ للنبيِّ الكريم ﷺ؛ إذ هو المُنتمي لقومِهِ، وهو أوسَطُهم وأعدَلُهم وأحسَنُهم؛ إذ طلبَ منهم شُكرَ النِّعمة، فلم يَلتفتوا، ولم يَسمعوا لوَعْظِه، وهو يريدُ خيرَهُم مثلَ ذلك الأخِ معَ إخوتِهِ، حتّى إذا عَلِموا الحِرمانَ؛ ذكَّرَهُم بسببِهِ وما كانوا عليهِ مِن بُهتان وظُلمٍ وإجرامٍ.

دلالةُ الاستعارةِ في ﴿أَوْسَطُهُمْ﴾:

المُـعـتـدِلُ في الأوصـاف وسَطٌ في الأعراف

استعارَ النَّظمُ الكريم لفظَ (الأوْسط)، في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾؛ إذ شبَّه المُعتدلَ بينَ الإفراط والتَّفريط بالوسَط، بجامعِ أنَّ كلًا منهما ليسَ على طرَفِ الشَّيء، ثمَّ حذفَ المشبَّه، وهو المُعتدل، وأبقَى المشبَّه به على سبيلِ الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، والغرضُ من الاستعارة إظهارُ المعتدِلِ بمظهر الواقعِ في المُنتصَف، فلا يميلُ إلى الإفراط ولا إلى التَّفريط، قال السَّمين: "والوسَطُ تارةً يقالُ فيما له طرفانِ مَذمومان، كالجودِ الَّذي بينَ البُخل والسَّرَف، فيُستعمَلُ استعمالَ القصدِ المَصونِ عن الإفراطِ والتَّفريط، فيُمدَحُ به، نحوَ السَّواءِ والعَدْل، وتارةً يقالُ فيما له طرفٌ محمودٌ وطرفٌ مذمومٌ كالخير والشَّرِّ، ويُكنَّى به عن الرَّذل، نحوُ قولهم: وسَطٌ بينَ الرِّجال؛ تنبيهًا على أنَّه قد خرجَ مِن حدِّ الخَير"[1].

دلالةُ الإضافةِ في ﴿أَوْسَطُهُمْ﴾:

الدّاعيةُ ذو طبعٍ مُستقيم وعَقلٍ سَليم

أضافَ النَّظمُ الكريم اسمَ التَّفضيلِ إلى ضميرِ الإخوةِ، في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه بعضٌ منهم ومُنتمٍ لهُم وواحدٌ فيهِم، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ النّاصِحَ الأمين يكونُ من جنسِ القومِ، وأخًا رَؤومًا بهِم مُشفقًا عليهم، يشعُرُ بشُعورِهِم، وفي ذلك

(1) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 4/ 309.

إبطالٌ لما يعتقدونَهُ من كونِ مدَّعي النُّبوَّة ملَكًا، وليس بشرًا، ففيهِ ردٌّ بليغٌ بأنَّ النَّبيَّ هو المُنتمي لقومه، لكنَّه يسمعُ لنداءِ اللّه المستقيم، ويعمَلُ بمقتضَى العقلِ السَّليم، قال السَّمرقنديُّ: "والعَرَبُ تقولُ: فلانٌ من أوسَطِ قومِهِ، أي: خيارِهم وأعدلِهم، ومنه قيلَ للنَّبيِّ ﷺ: هو أوسَطُ قريشٍ حَسَبًا"[1].

دلالةُ الاستفهامِ بالهَمزة في ﴿أَلَمْ﴾:

الإلجاءُ والإقرارُ بما أرشدَهُم إليهِ من وعظٍ واعتبار

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بـ(همزة الاستفهام) في مطلَعِ مقولِ القولِ، من قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾؛ للدَّلالةِ على الاستفهامِ التَّقريريِّ، الَّذي يُلجِئُ سامِعَهُ إلى الاعترافِ والإقرارِ، بما يأتي بعدَ الاستفهام ممّا يَقتضيهِ المقام، فهو لا يُقرِّرُهم على النَّفي الواقعِ بعدَ الهمزة، وإنَّما يُقرِّرُهم على المنفيِّ الصّادر منهُ، فيَعترفونَ بما قالَهُ لهم، وطَلبَهُ منهُم أثناءَ تخطيطِهم على الإجرام، قالَ القونويُّ: "إنكارٌ للنَّفي وإثباتُ المنفيِّ، أي: قد قُلتُ لكم، ولم تَقبلوا"[2].

مَعنى (لم) والغرضُ مِنها:

صدورُ النُّصحِ الماضي دالٌّ على تعنُّتٍ بقرارٍ قاضٍ

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بحرفِ النَّفي (لم)، في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾؛ للدَّلالة على قلبِ زمنِ الفعلِ المضارعِ إلى الماضي ونفيِهِ، وبانتفاءِ صدورِ القولِ في الزَّمن الماضي يكونُ التَّقريرُ على المنفيِّ صدورُهُ، فيكون تقريرًا على صدورِ القول منه في الماضي، والغرضُ من ذكرِ النّافي تحصيلُ دلالةِ القولِ الماضي بعدَ دخولِ الاستفهام، وإنَّما لم يوردِ النَّظمُ الفعلَ الماضيَ من أوَّلِ الأمر؛ ليُقرِّرَهُم عليه؛ لما في المضارع مِن تَكرارٍ وتجدُّدٍ واستمرار.

دلالةُ الفعل المضارع ﴿أَلَمْ أَقُل﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بلفظِ (القول) فِعلًا مُضارعًا، في قولِهِ تعالى:

(1) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 1/ 100.

(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 238.

استغراقُ الأزمنةِ الماضية بالنُّصْحِ والدَّعوةِ النّافِعة

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾؛ للدَّلالة على التَّجدُّدِ الاستمراريِّ في الوَعظ والإرشادِ والنُّصْح، ومِن ثَمَّ لم يُقرِّرْهُم على وقوعِ ذلك في الزَّمن الماضي بالصّيغةِ المَوضوعةِ له، بل اختارَ لفظَ المضارعِ، وقرنَهُ بـ(لم) القالبةِ له للمضيِّ، ثمَّ قرَّرهم دالًّا بذلك على استغراقِ أزمنةِ الماضي بالنُّصْحِ والإرشاد والوَعْظ.

دلالةُ المُتعلَّق ﴿لَّكُمْ﴾:

المـواجَـهـةُ بالتَّذكير أفضلُ وسيلةٍ للـرَّدعِ والتَّحذير

علَّقَ النَّظمُ الكريم بفعلِ القولِ الجارَّ والمجرورَ ﴿لَّكُمْ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾؛ للدَّلالة بـ(اللّام) على الاهتمامِ بالمَقول لهُم؛ فاللّام للاختصاصِ والغَرض، ويكونُ صدورُ القول النّاصحِ لأجلِكم ومُختصًّا بكم؛ لفَرطِ الاهتمامِ وشدَّةِ الشَّفقةِ وعظيمِ الخوفِ على مآلِ الكفرِ والإجرام والذَّنب، وأفادَ ضميرُ المُخاطَبين دلالةَ المواجهةِ في الحديثِ والخِطاب، والمواجهةُ بالتَّذكير أفضلُ وسيلةٍ للرَّدعِ والتَّحذير.

معنى ﴿لَوْلَا﴾ والغرضُ منها:

التَّحضيضُ عندَ الإرشـاد كـافٍ في الاتِّـهـامِ لهُم بالعِناد

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بـ﴿لَوْلَا﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾؛ للدَّلالة على الحثِّ والتَّحضيض بقوَّةٍ وشدَّةٍ، فإنَّ الفرقَ بينَ (ألا، و﴿لَوْلَا﴾) أنَّ كلَيهما للطَّلب؛ إلّا أنَّ (ألا) للطَّلَبِ برِفْقٍ ولين، و﴿لَوْلَا﴾ للطَّلبِ بشدَّةٍ وعُنف، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ أخاهم كان يَدعوهم أوَّلًا بالرِّفق واللّين حتَّى وصلَ به المطاف إلى الطَّلب بشِدَّةٍ وقوَّة، لكنَّهم بطروا النِّعمة، ولم يُصغوا للوعظِ والإرشاد، فصمَّموا على الجُرم حتّى حُرموا الخيرَ كلَّه، ويدلُّ التَّحضيض على نفيِ اللّائمة عنه بشكلٍ واضِح، فلا مجالَ لهم أنْ يُلقوا باللّائمةِ على وعظِهِ وإرشاده؛ إذِ التَّحضيضُ كافٍ في الرَّدِّ على اتِّهامهم له بالتَّقصيرِ في النُّصْح.

دلالةُ الفعلِ المُضارع ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

طلَبُ التَّنزيهِ والتَّسبيح دالٌّ على جهلهم القَبيح

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بالفعلِ المُضارع ﴿تُسَبِّحُونَ﴾، في قولِه تعالى: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ أخاهم الأوسطَ طلبَ منهم التَّسبيحَ والتَّنزيهَ للّه تعالى؛ لأنَّ إقدامَهم على هذا العملِ دالٌّ على جهلٍ بحقيقةِ غضَبِ الله عندَ انتهاكِ حُرُماتِه والاشتطاطِ على أوامرِه والتَّعدّي على عبادِه، وفعلُ التَّسبيح يدلُّ بمادَّتِه على التَّنزيهِ والتَّقديسِ للّه تعالى منَ الظَّنِّ السّيّئ به، بأنَّه لا ينتقمُ منهم على تلك الفعلةِ الخاطِئة، واختارَ النَّظمُ صيغةَ الفعلِ المضارع؛ للدَّلالة على طلَبِه التَّسبيحَ والتَّقديسَ منهُم بشكلٍ متكرِّرٍ ومُبالغٍ فيه؛ إذِ الصّيغةُ بالتَّضعيف دالَّةٌ على المُبالغةِ والكَثرة، قال ابنُ الجَوزيِّ: "وفيهِ ثلاثةُ أقوال، أحدُها: هلا تَستَثنونَ عند قولكم: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾، قاله ابنُ جُريج والجمهور، والمعنى: هلّا قلتُم: (إن شاءَ الله). والثّاني: أنَّه كان استثناؤُهُم قولَ: (سبحان الله) قالَه أبو صالح. والثّالث: هلّا تُسبِّحونَ اللّه، وتشكرونَهُ على ما أعطاكُم"[1]، ولعلَّ النَّظم اختارَ الفعلَ المضارع بعدَ دلالةِ الماضي في ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾؛ للتَّوبةِ من الذَّنب السّابق المتمثِّل بالعزمِ على المعصيةِ، والتَّوبةِ منَ الذَّنب اللّاحقِ في نسبةِ الظُّلم له تعالى، في قولهم: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

دلالةُ الاستعارةِ في ﴿تُسَبِّحُونَ﴾:

استثناءُ حِصَّةِ الفُقراء تعظيمٌ لرَبِّ السَّماء

استعارَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾؛ للدَّلالة على (تَستثنونَ)، فـ: "معنى التَّسبيحِ ها هنا الاستثناء، وهو أنْ يقولوا: إنْ شاءَ الله، فإنْ قيل: التَّسبيحُ أنْ تقول: سبحانَ الله، والجوابُ في ذلك: أنَّ كلَّ ما عظَّمتَ اللّهَ به؛ فهو تسبيحٌ؛ لأنَّ التَّسبيح تنزيهُ الله عن السّوء، والاستثناءُ تعظيمُ الله

(1) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 4/ 324.

والإقرارُ بأنَّه لا يقدر أحدٌ أنْ يفعلَ فِعلًا إلّا بمشيئةِ اللّه ﷻ"[1]، فقد شبَّه النَّظمُ لفظَ (الاستثناء) بقولِ: إنْ شاءَ اللّه بلفظِ (التَّسبيح) بجامعِ التَّعظيمِ فيهما للّه تعالى، ثمَّ حذفَ المشبَّه، وأبقَى المشبَّهَ بهِ على سبيلِ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّة، "قالَ النَّحّاس: أصلُ التَّسبيحِ التَّنزيهُ للّه ﷻ، فجعلَ (التَّسبيحَ) في موضعِ (إنْ شاءَ اللّه)؛ لأنَّ المعنى تنزيهُ اللّه أنْ يكون شيءٌ إلّا بمشيئتِهِ، وقال ابنُ الخطيب: التَّسبيحُ عبارةٌ عن تنزيهِهِ عن كلِّ سوءٍ، فلو دخلَ شيءٌ في الوجودِ على خلافِ إرادةِ اللّه تعالى؛ لوجبَ عودُ النَّقص إلى قدرةِ اللّه تعالى، فقولك: (إنْ شاء اللّه) مُزيلٌ هذا النَّقصَ، فكانَ ذلك تسبيحًا"[2]، وقال الحنبليُّ: "وقيل: تَستثنونَ، وسُمّي الاستثناءُ تسبيحًا؛ لأنَّه تعظيمُ اللّه"[3]، ويكونُ حينَئذٍ بينَهُ وبينَ قولِهم: (سبحان اللّه) جناسٌ، وليسَ تضعيفًا لوجهِ الاستعارةِ كما ظُنَّ[4].

دلالةُ المَجازِ المُرسَلِ في ﴿تُسَبِّحُونَ﴾:

عبَّرَ النَّظم الكريمُ بفعلِ (التَّسبيح) مُضارعًا، في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾؛ للدَّلالة على التَّحضيضِ على الذِّكر للّه تعالى والتَّوبةِ له، فيكونُ مَجازًا مرسلًا، قال القونويُّ: "والتَّسبيحُ بمعنى الذِّكر والتَّوْبَة مَجازًا بذكرِ المقيَّدِ وإرادةِ المُطلقِ ثمَّ المقيَّد الآخر؛ لكونه أفرادًا من المُطلَق"[5]، والغرضُ من التَّجوُّزِ بذكرِ التَّسبيحِ الدَّلالةُ على أنَّ أوَّل التَّوبةِ والذِّكرِ يَبدأ بالتَّسبيحِ والتَّنزيهِ للّه عن النَّقص حتّى يصحَّ الذِّكرُ، وتنفَعَ التَّوبةُ صاحبَها.

التَّسبيحُ لصاحِبِ الأمرِ فردٌ من أفرادِ مُطلَقِ الذِّكر

(1) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 5/ 209، والواحديّ، التّفسير البسيط: 22/ 106.
(2) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 19/ 292.
(3) الحنبليّ، فتح الرّحمن: 7/ 130.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 350.
(5) القونويّ وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 238.

سرُّ الفَصْلِ في ﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَ﴾:

التَّسبيحُ والتَّقديس دالّانِ كِنايةً على الإقرارِ بالمَطلوبِ الرَّئيس

فصلَ النَّظمُ الكريمُ قولَه تعالى: ﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ﴾؛ للدَّلالة على الاستئنافِ البيانيِّ؛ إذ دلَّ الاستفهامُ السّابق على طَلَبِه الإقرارَ منهُم بما قالَهُ لهُم من الحثِّ على التَّسبيحِ والتَّنزيهِ والتَّقديس، فنشأ سؤالٌ عن إقرارِهم بما قالَه لهم من طلبِ التَّسبيح، لكنَّ النَّظمَ بدلًا من أنْ يُفصِحَ بالإقرارِ على ما قالَهُ لهُم بأنْ يقولَ مثلًا: (لقد قلتَ لنا ذلك)، عبَّر بلازمِهِ كنايةً عن تحقُّقِ الإقرارِ بما قالَهُ لهم، وطلبَهُ منهُم؛ إذ شَرَعوا بالتَّسبيح، وفي ذلك اعترافٌ منهُم وإقرارٌ بما قالَهُ لهُم مُسبقًا من طلبِ التَّسبيح، فقد: "قالوا مُعترفينَ بالذَّنب، والاعترافُ بهِ يُعدُّ منَ التَّوبة"[1].

دلالةُ إسنادِ فعلِ (القَول) إلى ضميرِ الجمعِ:

التَّسبيحُ الجماعيُّ في مُقابلةِ العِصيانِ الاتِّفاقيِّ

أسندَ النَّظمُ الكريم فعلَ (القول) الماضي إلى ضميرِ الجمعِ (الواو)، في قولِهِ تعالى: ﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ﴾؛ للدَّلالة على صُدور القولِ منهم على سبيلِ الاتِّفاق والاجتماعِ صُدورًا مُنجَزًا مُحقَّقًا؛ ليكونَ الإقرارُ جماعيًّا بالتَّسبيحِ للّه تعالى والتَّوبةِ إليه، كما كانَ التَّخطيطُ والشُّروعُ بالتَّنفيذِ للمَعصيةِ جماعيًّا منهم.

دلالةُ المصدرِ ﴿سُبْحَـٰنَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

المَعصيةُ جُرأةٌ على العَظيم فلا بدَّ منَ التَّسبيحِ للقَديم

عبَّرَ النَّظمُ الكريم عن مَقول القولِ بالمَصدر المنصوبِ ﴿سُبْحَـٰنَ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ﴾؛ للدَّلالة بمادَّتِه على تَنزيههم للّه تنزيهًا تامًّا مَحضًا؛ إذِ المصدرُ موضوعٌ للدَّلالةِ على الحقيقةِ والماهيَّة، فيكونُ التَّسبيحُ مُتحقِّقًا بماهيَّتِه فيهم للدَّلالة على الكمالِ فيه، والمصدرُ منصوبٌ بفعلٍ محذوفٍ وجوبًا، تقديرُهُ: (نُسبِّحُ سُبحانَ)، فيفيدُ التَّأكيدَ والمبالغةَ في التَّنزيهِ والتَّقديسِ مع

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 97.

دلالةِ التَّجدُّدِ والحدوث، وإنَّما لجؤوا إلى التَّوبةِ بلفظ (التَّسبيح)؛ لأنَّ المعصيةَ في حقيقتها جهلٌ بغضبِ الله تعالى عندَ انتهاكِ حُرُماتِه، أو يُجرِّئُ على المعصية ضَعْفُ الاعتقادِ بقُدرة الله تعالى على الظّالمين، أوِ تُنبئُ عن الغَفْلةِ عن ذلك، فتكونُ التَّوبةُ بلفظِ (التَّسبيح) دالَّةً على تصحيحِ الاعتقادِ والاعترافِ؛ بسببِ العصيانِ والإقلاعِ عنه من خلال معرفةِ الله تعالى المعرفةَ الحَقَّة بالتَّنزيه والتَّعظيم والتَّبجيل، قال الهرريُّ: "أي: تَنَزَّهَ مالكُ أمرِنا عن كلِّ سوءٍ ونُقصانٍ سيَّما عَن أن يكونَ ظالمًا فيما فعلَ بنا"[1]، وفي هذا الجوابِ بالتَّسبيحِ دليلٌ على أنَّه كان يقولُ لهم: سبِّحوا اللّهَ، وتوبوا إليه، لكنَّهم لم يفعلوا، ولم يرضَوا، فكانَ جوابُهم بعد اعترافِهم بخطَئِهم قبولَ ما أمرَهُم به مُسبَقًا.

دلالةُ إضافةِ المَصدرِ ﴿سُبۡحَٰنَ﴾:

أضافَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ إلى لفظِ (الرَّبِّ)، في قولِه تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ السُّبحانَ والتَّنزيهَ مستحقٌّ ومختصٌّ بالرَّبِّ تعالى، والإضافةُ من إضافةِ المصدرِ لمفعولِه، فالرَّبُّ مضافٌ إليه لفظًا منصوبٌ تقديرًا، وإنَّما اختارَ النَّظم لفظَ (الرَّبِّ) دونَ لفظ الجلالةِ؛ لمُناسبتِه للمَقام؛ إذ نزولُ العذاب وإحاطتُهُ بجنَّتِهم دليلُ ربوبيَّتِه وسَيطرتِه وتحكُّمِه بالكونِ وظَواهره، فكانَ الأنسبُ لفظَ (الرَّبِّ) دونَ اسم الجلالة (الله)، ويحتملُ أنَّهم كانوا يُسمّونَ الذّاتَ الجليلة بلفظِ (الرَّبِّ) دونَ الاسمِ الجليلِ؛ لعدمِ مَعرفتِهم به.

إحاطةُ العَذاب بالجنَّةِ الأرضيَّة دليلٌ على كمالِ التَّصرُّفِ والرُّبوبيَّة

دلالةُ الإضافةِ في ﴿رَبِّنَآ﴾:

أضافَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ (الرَّبِّ) إلى ضميرِ المتكلِّمين، في قولِه تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ﴾؛ للدَّلالة على الاعترافِ بربوبيَّة الله

الشُّعورُ بالتَّقصيرِ يَمحوهُ الخضوعُ للجَليل

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 97.

تعالى لهم، ومُقتضى الاعترافِ الشُّعورُ بالتَّندُّم على ما فرَّطوا في جنبِ الله، وفي الإضافةِ إعلانٌ صريحٌ عنِ الخُضوع للعَظَمةِ الإلَهيَّة وعدمِ الإقدام مُجدَّدًا على ما يُغضبُهُ، ولا يُرضيه؛ إذ مِن شروطِ التَّوبةِ الاعترافُ والنَّدمُ والخضوعُ لعظمةِ الله تعالى.

دلالةُ تقديمِ التَّسبيحِ على الإقرارِ بالظُّلم:

مفتاحُ التَّوبة بتنزيهِ صاحبِ النِّعمة

قدَّمَ النَّظم الكريمُ في ذِكرِ مَقولهم التَّسبيحَ على الاعترافِ بالظُّلم، في قولِهِ تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبَّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على ما يجبُ على التّائبِ منَ الابتداءِ بالتَّسبيح والتَّنزيهِ لله عن النَّقص الَّذي لابسَ قلبَهُ، فأقدمَ على مَعصيته، أوْ غفلَ عن قُدرتِه، فعزمَ على الظُّلم، ثمَّ الاعترافُ بالذَّنبِ وما يَستلزمُهُ من النَّدامة وما يَقتضيهِ من العزمِ على عدَمِ العَوْد، قال القونويُّ: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: "اعترافٌ بالذَّنبِ إظهارًا للنَّدامة، والنَّدامةُ ركنٌ أعظمُ للتَّوبة، ويُفهَمُ منه العزمُ على عدمِ العَوْدِ، وذُكِرَ التَّسبيحُ؛ لأنَّه مفتاحُ التَّوْبَة"[1].

نُكتَةُ التَّصديرِ للجُملةِ الاسميَّة بـ(إنَّ):

توكيدُ المُتكلِّم لفعلِهِ مُستلزمٌ شعورَهُ بذنبِه

أكَّدَ النَّظمُ الكريم الجملةَ الاسميَّة في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾؛ لتنزيلِهم أنفسَهُم منزلةَ المنكرِ لظُلمهم؛ إذِ المُتكلِّم لا يُؤكِّدُ فعلَ نفسه إلّا للكنايةِ عن أمرٍ، فأقدَموا على توكيدِ نسبةِ الظُّلم لأنفُسِهم في الماضي؛ إشعارًا بالنَّدامة، واعترافًا بالقصورِ وإعلانًا للخُضوع، وحرفُ التَّوكيد مُفيدٌ دلالةَ التَّعليلِ والسَّببيَّة؛ إذِ اعترافُهُم وإقرارهُم بطَلبِ التَّسبيحِ، وتسبيحُهُم بسببِ ظُلمِهم وسوءِ فِعلهم، فيكونُ التَّسبيح توبةً عنِ اعترافٍ بالظُّلم وندَمٍ عليه، قال ابنُ عاشور: "والتَّأكيدُ لِتَحقيقِ الإقرارِ والاهْتِمامِ بِهِ، ويُفيدُ حَرْفُ (إنَّ) مَعَ ذَلِكَ تَعْليلًا لِلتَّسْبيحِ الَّذي قَبْلَهُ"[2].

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 238.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 87.

سرُّ تقديمِ المُسندِ إليهِ في ﴿إِنَّا﴾:

التَّقديمُ للانحصارِ مُستلزِمٌ للاتِّصافِ بالظُّلمِ على سبيلِ الاستمرار

قدَّمَ النَّظمُ الكريم ضميرَ المتكلِّم على خبرِهِ الفعليِّ، في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾؛ للدَّلالة على حَصْرِ الظُّلم فيهم حَصْرًا إضافيًّا ادِّعائيًّا، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ كلَّ مَن يتجرَّأُ على أوامرِ الذّات الإلَهيَّة؛ فإنَّه ينحصرُ فيه وصفُ الظُّلم، وكفى به رادِعًا لكلِّ مَن يُلقي السَّمعَ، وهو شهيد.

دلالةُ الفعلِ النّاقصِ (كانَ):

الاعترافُ بالذَّنب يُيَسِّرُ قبولَ التَّوْب

عبَّر النَّظمُ الكريم بالفعلِ النّاقص (كانَ)، في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ دون القول (إنّا ظالمون)؛ للدَّلالة على أنَّ اتِّصافَ المُتكلِّمين بالظُّلم على سبيلِ التَّمكُّنِ والاستقرار، مع الاستمرارِ في ذلك إلى زمنِ رُؤيةِ الجنَّة ونسبةِ الحِرمان إلى الله تعالى ظُلْمًا لهم؛ إذ فِعْلُ الوجود مُنبئٌ عنِ استقرارِ حُكم الخَبَر للمبتدأ استقرارًا تامًّا، وحُصولًا ثابتًا، وفي الاعترافِ بثبوتِ الظُّلم ووُجودِهِ فيهم دلالةٌ على النَّدامةِ الَّتي هي شرطٌ أساسيٌّ لقَبول التَّوبة.

دلالةُ تَكرارِ ضميرِ المتكلِّم ومعَهُ غيرُهُ:

تكرارُ الضَّمير للشُّعورِ بالتَّقصير

كرَّرَ النَّظمُ الكريم ضميرَ المتكلِّم ومعه غيرُهُ، في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾؛ للدَّلالة على أهمّيَّة تقديمِ المسندِ إليه في تحقيقِ دلالةِ الانحصارِ والتَّقويةِ للاتِّصاف بالحُكم والخبر، فقد وقعَ ضميرُ المتكلِّمين (نا) الأوَّل مُسندًا إليه؛ للإخبارِ عنه بثبوتِ الظُّلم فيهم، ووقعَ مُسندًا إليه أيضًا في جملةِ (كانَ)؛ للإخبارِ عنه بالظُّلم على سبيلِ الحصولِ والتَّمكُّن والاستقرار، فيكونُ التَّكرارُ دالًّا على تأصُّلِ الظُّلم فيهم تأصُّلًا دفعَهُم للاعترافِ به وطلبِ التَّوبةِ منهُ.

دلالةُ الإخبارِ بـ ﴿ظَٰلِمِينَ﴾ مادَّةً وصيغةً ومَوقعًا:

مُجاوزةُ الحُقوق ظُلْمٌ وعُقوق

أخبرَ النَّظمُ الكريمُ بلفظِ ﴿ظَٰلِمِينَ﴾ عن ضميرِ المتكلِّمين، في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾؛ للدَّلالة على اتِّصافِهم بالظُّلم على

سبيلِ الثُّبوتِ والدَّوام؛ إذ (الظّالم) هنا صارَ وصْفًا متأصِّلًا فيهم، فيكون ثابتًا لهم ثبوتَ اللَّوازم في مَلزوماتها، كما تدلُّ مادَّةُ الظُّلم على القيامِ بتصرُّفاتٍ تُخالفُ الأوامرَ والنَّواهي؛ إذِ الظُّلْمُ تصرُّفٌ واعتداءٌ على حقٍّ، وأوامرُ اللّه ونواهيه حقٌّ لا يجوزُ مُجاوزتُها البتَّةَ.

نُكْتَةُ حذفِ مُتعلَّقِ ﴿ظَٰلِمِينَ﴾:

حذفَ النَّظمُ الكريم مُتعلَّقَ ﴿ظَٰلِمِينَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾؛ بناءً على إرادةِ مَعنى التَّعديةِ والتَّعلُّقِ بالآخر، لتحقيقِ دلالةِ العُموم، قال ابنُ عاشور: "وَحُذِفَ مَفْعولُ ﴿ظَٰلِمِينَ﴾؛ ليَعُمَّ ظُلْمَهُم أنفُسَهُمْ بِما جَرّوهُ على أنْفُسِهِم مِنْ سَلْبِ النِّعْمَةِ، وظُلْمِ المَساكينِ بِمَنْعِهِم مِن حَقِّهِمْ في المالِ"[1]؛ إذ يحتملُ أنَّهم ظلَموا أنفسَهُم؛ بسببِ العِصيانِ الَّذي حَرَمَهُم خيراتِ جنَّتِهم، أو ظلَموا أنفسَهُم باستحقاقِ غضَبِ اللّه تعالى عليهم، كما يحتملُ أنَّ المتعلَّق هو الآخر، فيكونونَ قد ظلَموا غيرَهم؛ بسببِ ما أقدَموا عليه من حِرمانِ الفُقراء والمساكينِ حقوقَهُم، قالَ الطَّبريُّ ﴿كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: "في تَرْكِنا الاستثناءَ في قَسَمِنا وعَزْمِنا على تَرْكِ إطعامِ المَساكينِ من ثمَرِ جنَّتِنا"[2].

الـدَّلالـةُ على العُموم بحَذْفِ متعلَّقِ الظُّلمِ الغَشوم

دلالةُ التَّعريضِ في مَقولِ القَول:

عرَّضَ النَّظمُ الكريم بأهلِ مكَّةَ في قولِه تعالى: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾؛ إذ أقبل أصحابُ الجنَّة على التَّسبيحِ والاستغفارِ، والاعترافِ بالظُّلم وإظهارِ النَّدَم على ما فرَّطوا في جنبِ اللّه، فيكون تعريضًا بقومِ النَّبيِّ ﷺ وما يَنبغي أنْ يُقدِموا عليه من طاعةٍ واستغفارٍ وخُضوعٍ للّه تعالى ربِّ العالَمين، كما أفادَ الإخبارُ بكونِهم الظّالمينَ تنزيهَ اللّهِ تعالى عن ظُلمهم، كما يُشَمُّ من صريحِ إضرابِهم

تـوبـةُ الـظّـالمين تعريضٌ بالباقين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 87.

(2) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 551.

السّابق: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾؛ إذ يدلُّ على أنَّ الحِرمان وقع عليهم منَ اللّه تعالى، ففيه شائبةُ نسبةِ الظُّلم له تعالى، فتابوا عمّا صدرَ منهم من العَزم على الفعل، وعمّا صدرَ منهُم عندَ رُؤيةِ الجنَّة وادِّعائهم أنَّ ما فعلَ اللّهُ بهم حِرمانٌ لهم.

معنى (الفاءِ) والغرضُ منها في ﴿فَأَقْبَلَ﴾:

بعد الخسارة تقع الملامة

عطفَ النَّظمُ الكريم بـ(الفاء) في قولِه تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ للدَّلالة على التَّعقيب والتَّفريع، إذ أعقبَ شعورَهُم بالخسارةِ والحِرمان مع اعترافِهم بالظُّلم والبهتان إقبالُ بعضِهم على بعضٍ، بإلقاءِ اللَّوم والمَلامة والعِتابِ والمُحاسبةِ؛ وذلك شأنُ الخاسِرينَ الَّذين يَتمنَّونَ وجودَ صادٍّ لهم ومانعٍ من تلك الخَسارةِ الثَّقيلة، والذي يظهرُ لنا أنَّ التَّلاوُمَ كانَ يشمَلُ الجميعَ من دونِ الأوسط الَّذي نصحَهم، فأعرَضوا، حتَّى أجبروهُ على الموافقةِ لهم والمُسايرةِ في مُخطَّطهم، قال ابنُ عاشور: "وَلَمّا استَقَرَّ حالُهُم عَلَى المُشارَكَةِ في مَنْعِ المَساكينِ حَقَّهُم؛ أخَذَ بَعْضُهُمْ يَلومُ بَعْضًا على ما فَرَطَ مِنْ فِعْلِهِم، كُلٌّ يَلومُ غَيْرَهُ بِما كانَ قَدْ تَلَبَّسَ بِهِ في هَذا الشَّأْنِ، مِن ابتِكارِ فِكْرَةِ مَنْعِ المَساكينَ ما كانَ حَقًّا لَهُمْ مِن حَياةِ الأبِ، ومِنَ المُمالاةِ على ذلك، ومِنَ الاقتِناعِ بِتَصْميمِ البَقيَّةِ، ومِن تَنْفيذِ جَميعِهِم ذَلِكَ العَزْمَ الذَّميمَ"[1].

دلالةُ فعلِ (الإقبالِ) مادَّةً وصيغةً:

الإقبالُ يصوِّرُ الاهتمامَ بالأقوال

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بفعلِ (الإقبالِ) ماضيًا، في قولِه تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ للدَّلالة على تحقُّقِ وقوعِ الفعل، وأنَّه قد صدرَ منهم بشكلٍ محقَّقٍ مقطوعٍ به، قال الهرريُّ: "التَّعبيرُ عنهُم بصيغةِ الماضي للتَّأكيد، والدَّلالةِ على تحقُّقِ الوُقوعِ حَتمًا"[2]، وزيدتِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 87.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 24/ 189.

الهمزةُ للدَّلالة على الصَّيرورة، أي: صارَ بعضُهُم مُتحرِّكًا إلى الآخرِ من جهةِ الأمام، بحيثُ تتحقَّقُ بينهم المقابلةُ والمواجهة، ولذا كانَ الإقبال ضدَّ الإدبار، وهو الذَّهابُ والتَّولّي من جهةِ الدُّبُرِ والخَلف، ولا يَنشَطُ الشَّخصُ للإقبالِ؛ إلّا إنْ كان الأمرُ مستحَقًّا للمُقابلةِ والحديثِ، فتراهُ يقبلُ باندفاعٍ من أجلِ ما عزمَ عليه.

دلالةُ الاستعارةِ التَّمثيليَّةِ في ﴿فَأَقْبَلَ﴾:

إضفاءُ الحَركة لتَصويرِ الرَّغبة في الحديثِ بكلِّ شدَّة

استعارَ النَّظمُ الكريم اللَّفظَ الدّالَّ على الحركةِ، والتَّوجُّهِ إلى الأمام من أجلِ الحديثِ واللَّوم؛ اهتمامًا بالأمرِ في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ لتصويرِ هيئةٍ معنويَّةٍ تُنبِئُ عن الاهتمامِ والإحساسِ بالأهمّيَّة في الحديث، والرَّغبةِ في الكلام لعُمقِ الخَسارة، ثمَّ حذفَ المشبَّهَ، وأبقى المشبَّهَ به على سبيلِ الاستعارةِ التَّمثيليَّة؛ إذ لمّا تحدَّثوا، واعترَفوا بالظُّلم؛ كانوا مُتقابلينَ ومُتواجهينَ أيضًا بالحديث، فإقبالُهم بالتَّلاوُم لم يكُنْ عن تفرُّقٍ وإدبار، بل استُعيرَ لتصويرِ الاهتمامِ بالموضوع، وإضفاءِ الحركةِ عليه بغيةَ توضيح اهتمامِهم بالمَلامة بعدَ تحقُّق الخَسارة، قال ابنُ عاشور: "والإقبالُ: حَقيقَتُهُ المَجيءُ إلى الآخر من جهَةِ وجْهِه، وهو مُشْتَقٌّ مِنَ القُبُلِ، وهوَ ما يَبْدو مِنَ الإنْسانِ مِنْ جهَةِ وجْهِه، ضِدَّ الإدْبارِ، وهوَ هُنا تَمْثيلٌ لِحالِ العِنايَةِ باللَّوْمِ"[1].

دلالةُ المُسندِ إليه ﴿بَعْضُهُمْ﴾ مُضافًا:

التَّفصيلُ لفاعلِ الإقبال دالٌّ على الانحِصار

عبَّرَ النَّظمُ الكريم عن فاعلِ الإقبالِ بلفظِ (البعض) مُضافًا في قولِه تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ البعضَ من الكلِّ قد صارَ مُقبِلًا على بعضٍ آخرَ منه، والبعضُ الآخرُ الَّذي أُقبِلَ عليه قد صارَ هو أيضًا مُقبِلًا على مَن أقبلَ عليه، فيكونُ الإقبالُ صادرًا من الكلِّ إلى الكلِّ؛ ولذا عدلَ النَّظمُ عن إسنادِ الفعلِ إلى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 88.

الكلِّ بالقولِ: (فأقبلوا) إلى هذا التَّفصيلِ؛ لتصويرِ وقوعِ التَّلاوُمِ فيما بينَهم، بخلافِ (أقبلوا يتلاومون)؛ إذ يَحتمِلُ أنَّهم أقبلوا على غيرِهم لإظهارِ التَّلاوُمِ فيما بينَهُم، فكان تفصيلُ الكُلِّ دالًّا على انحصارِ الإقبالِ والمواجهةِ فيما بينَهُم.

مَعنى حرفِ الجرِّ ﴿عَلَىٰ﴾ والغرضُ منهُ:

الاستعلاءُ المَوهوم دالٌّ على التَّسفُّلِ المَجزوم

عدَّى النَّظمُ فعلَ الإقبالِ بحرفِ الجرِّ ﴿عَلَىٰ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ للدَّلالةِ على الاستعلاءِ المجازيِّ، والغرضُ منه تصويرُ كلٍّ من المُقبِلَينِ على الآخرِ بهيئةِ المُرتفعِ على الآخَر، ممّا يدلُّ على هَوانِ أمرِ الفريقينِ وتوزُّعِ الخسارةِ فيما بينهُما على السَّويَّة بدلالةِ المقامِ والسّياق، ولذا كانَ إقبالُ المؤمنينَ بعضِهم على بعضٍ دالًّا على ارتفاعِ شأنِ الفريقَين، وإنَّما لم يُعَدِّ النَّظمُ فعلَ الإقبالِ بحرفِ الجرِّ (إلى) الدّالِّ على الانتهاء؛ لأنَّ الغرضَ لم يكُن بيانَ تحديدِ نهايةِ الإقبالِ وجهتِهِ، بل تحديدُ ارتفاعِ المُقبلِ الصّادقِ بكلِّ واحدٍ منهما على الآخرِ؛ للدَّلالةِ على الهَوانِ والتَّسفُّلِ المشترَك.

دلالةُ التَّنكيرِ في ﴿بَعْضٍ﴾:

التَّقليلُ والتَّحقيرُ لكلِّ آثمٍ أمرٌ جَدير

نكَّرَ النَّظمُ الكريم لفظَ (البعض)، في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ للدَّلالة على التَّحقيرِ والتَّقليلِ منَ الشَّأن معَ الإبهام؛ إذ لمّا اشترَكوا في الجُرمِ والإقبالِ؛ لم تكن هنالك فائدةٌ للتَّعيين؛ ولا يعني هذا أنَّ اللَّفظ المُعرَّف في ﴿بَعْضُهُمْ﴾ خارجًا عن دائرةِ التَّنكير بالكلّيَّة؛ إذ تعريفُهُ دلَّ على أنَّه بعضٌ منهم فحسبُ، ولم يدلَّ على شرفٍ فيه أوْ رفعةٍ على غيره بتعيينِهِ؛ فيكونُ الجميعُ داخلًا تحت سياقِ الإبهامِ والتَّحقير والتَّقليل، وإنَّما عرَّف الأوَّلَ، وتركَ الثّاني؛ للدَّلالة على حالةِ المُشاركة في الإقبالِ والتَّلهُّف للحديثِ بينَهم دونَ مَن عداهُم، ولذا لم يقُل: (فأقبلَ بعضٌ على بَعضٍ)، وليسَ هنالك إقبالٌ حقيقيٌّ؛ إذِ الصّورة بكلِّ مكوِّناتِها دالَّةٌ

على المشاركةِ، ومستعارةٌ لصورةِ المهتمِّ والمُغتمِّ بالخسارةِ المُلجِئة له إلى التَّلاوُمِ والمَلامة.

دلالةُ الفعلِ المضارعِ ﴿يَتَلَوَمُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

عُمْقُ الحِرمان يُنمّي تكرارَ المَلامةِ والخُسران

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بفعلِ (التَّلاوُم) مُضارعًا، في قولِه تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوَمُونَ﴾؛ للدَّلالة على تجدُّدِ حدثِ التَّلاوُمِ بينَهم على سبيلِ الاستمرارِ والتَّكرار، ممّا يدلُّ على شدَّةِ الشُّعورِ بالخَسارة والحِرمان؛ نتيجةَ ما اقترفوهُ، وأساؤوا الظَّنَّ فيه بالدّيّان، كما أفادت صيغةُ (التَّلاوُم) وقوعَ المَلامة منهم على سبيلِ المشاركةِ؛ إذ كلُّ واحدٍ منهُم بدأ يوجِّهُ اللَّومَ والتَّأنيبَ والتَّعنيفَ للآخَر، بما يفيدُ حالةً منَ التَّوافُقِ على المَلامة موازيةً لحالةِ التَّوافُقِ على المَعصية والإثم، قال الحنبليُّ مُعلِّلًا وقوعَ التَّلاوُم بينهم: "فإنَّ منهم مَن أشار بذلك، ومنهُم مَن استصوبَهُ، ومنهم مَن سكتَ راضيًا، ومنهُم مَن أنكره"[1]، ونفى الماتريديُّ أنْ يكونَ التَّلاوُمُ بهذا المعنى الَّذي نقلَهُ المُفسِّرون، فقال: "لأنَّ هذا يوجِبُ تبرئةَ كلِّ واحدٍ منهم عنِ ارتكابِ الذُّنوب، وقد سبقَ منهم الإقرارُ بالذَّنب بقولهم: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾، وبقولهم: ﴿يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ﴾، فكيف يُبرِّئونَ أنفسَهم عن الذَّنوب، وقدِ اعترفوا بها؟ فهذا تأويلٌ لا معنى له، بل معناه: فأقبلَ بعضُهم على بعضٍ يَتلاوَمون على إدخالِ كلٍّ منهم نفسَه في ذلك القولِ، فأقبلَ كلُّ واحد منهم باللّائمةِ على نفسِه حتّى يكونَ هذا موافقًا لقولِه: ﴿إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ﴾"[2]، والَّذي يبدو أنَّ هذا النَّفيَ بعيدٌ؛ لأنَّ اختيار مادَّة اللَّوم الدّالَّة على: "إنْكارٍ مُتَوَسِّطٍ عَلَى فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ، وهو دونَ التَّوْبيخِ وفَوْقَ العِتابِ"[3]، تُشيرُ إلى أنَّهُم لا يمتلكونَ التَّوبيخَ؛ لمعرفتِهم بعدمِ وجاهةِ

(1) الحنبليّ، فتح الرّحمن: 7/ 131.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 10/ 149.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 88.

إلقاءِ المَلامة، لكنَّ ذلك شأنُ الخاسِرينَ في عملٍ ما؛ إذ يُقدمونَ على التَّلاوُمِ لعظيمِ الخَسارةِ اللّاحقةِ بهم.

دلالةُ مَوقعِ جُملةِ ﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بالجملةِ الحاليَّةِ[1]، في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ﴾؛ للدَّلالة على تقييدِ الإقبالِ المُسنَدِ إليهم بحالةِ التَّلاوُمِ وبيانِ هَيئةِ المُقبلينَ؛ لإفادةِ أنَّهم يُمارِسونَ اللَّومَ، وهم يتَّصفونَ بالإقبالِ والقُدوم، وفي ذلك تصويرٌ لحالةِ الأسفِ الشَّديد والشُّعورِ العَميقِ بالخُسران المُبين، وفيهِ تعريضٌ بحالِ كلِّ مَن لا يَرتدِعُ عنِ الإثمِ، ولا يتوقَّفُ عن الباطل؛ إذ مصيرُهُ إلقاءُ اللَّوم، ولاتَ ساعةَ مَندَم، وذكرَ النَّظمُ التَّلاوُمَ الصّادر منهم؛ لبيانِ أنَّهم لم يَمتلِكوا إلّا إيّاه، وذلك ناظرٌ لقولِهِ تعالى فيما قبلُ: ﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ﴾؛ إذ لم يَقدِروا إلّا على الغضبِ والحَنَق، وذلك الغضبُ خرجَ في صورةِ الإقبالِ على التَّلاوُم[2].

لُحوقُ النَّدمِ بالبُغاة واستجلابُ المَلامةِ للعُصاة

سرُّ فصلِ جملةِ ﴿قَالُواْ﴾:

فصلَ النَّظمُ الكريمُ الجملةَ الواردةَ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ﴾ عمّا قبلَها؛ إمّا لكونِها مُبيِّنةً ما تلاوَموا به، مُنزَّلةً ممّا قبلَها منزلةَ البيانِ من المُبيَّن، أي: تلاوموا بالقولِ: ﴿يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾، وإمّا أنَّها مُستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا عمّا قبلَها؛ لكونِ مَضمونِ ما قبلَها يولِّدُ سُؤالًا ضمنيًّا مُفادُهُ: بماذا أجابَ بعضُهم بَعضًا عن إلقاءِ اللَّوم والعِتاب؟ فقال: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾، وسواءٌ كانتِ الجملةُ مبيِّنةً ماهيَّةَ ذلك التَّلاوُمِ وطبيعتَه، أم جوابًا عن ذلك التَّلاوُم، فإنَّ مَضمونَها دالٌّ على لومٍ عميقٍ وجوابٍ مُشيرٍ لفداحةِ تلك الخَيبة، وذلك الإحساسِ بالذَّنبِ والاعتداء، قال ابنُ عاشور: "فَجُملَةُ ﴿قَالُواْ

الجوابُ والبيان يُرشِدانِ لكَمالِ الخَيبةِ والعُدوان

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 124.

(2) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 1534.

﴿يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ يَجوزُ أن تكونَ مُبَيِّنَةً لِجُمْلَةِ ﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾، أي: يَلومُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَذا الكَلام، ولم تُعْطَفِ الجُمْلَةُ؛ لأنَّها مُبَيِّنَةٌ، ويَجوزُ أنْ تَكونَ جَوابَ بَعْضِهِم بَعْضًا عَنْ لَوْمِهِ غيرَهُ، فَكَما أجْمَعوا عَلَى لَوْمِ بَعْضِهِم بَعْضًا، كَذَلِكَ أجْمَعوا على إجابَةِ بَعْضِهِم بَعْضًا عَن ذَلِكَ المَلام، فَقالَ كُلُّ مَلومٍ لِلائِمِهِ: ﴿يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾؛ جَوابًا بِتَقْريرِ مَلامِهِ والاعْتِرافِ بِالذَّنْبِ"[1].

دلالةُ الإخبارِ بجُملةِ البيان: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ﴾:

بيَّنَ النَّظمُ الكريمُ طبيعةَ المَلامةِ بينَ أصحابِ الجنَّة بما أسندَهُ إليهم من قولٍ واعترافٍ في قولِه تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾؛ ليكونَ البيانُ: "خَبَرًا مُستَعمَلًا في التَّقْريعِ عَلَى طَريقَةِ التَّعْريضِ بِغَيرِهِ والإقْرارِ عَلَى نَفْسِهِ، مَعَ التَّحَسُّرِ والتَّنَدُّمِ بِما أفادَهُ ﴿يَٰوَيۡلَنَآ﴾، وذَلِكَ كَلامٌ جامِعٌ لِلمَلامَةِ كُلِّها[2]، فكأنَّ النَّظمَ بهذا الإخبارِ عرَّفَ بـ(المَلامةِ) على أنَّها تقريعٌ للآخر، وإقرارٌ على النَّفسِ معَ تندُّمٍ وتحسُّرٍ.

التَّعريضُ بالإخبارِ لِرَدْعِ الأشرار

دلالةُ إسنادِ فعلِ (القولِ) إلى ضميرِ الجَمعِ (الواو):

أسندَ النَّظمُ الكريمُ فعلَ (القولِ) إلى ضميرِ الجمعِ (الواو)، في قولِه تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ﴾؛ للدَّلالة على صُدورِ اللَّومِ الدّالِّ على التَّقريعِ والشُّعورِ بالنَّدامةِ والحَسرةِ بالاتِّفاقِ إنْ كانت الجملةُ بيانيَّةً، أوْ للاتِّفاقِ على الجوابِ، كما اتَّفقوا على التَّلاوُمِ فيما بينَهُم، إنْ كانت الجملةُ استئنافًا بيانيًّا[3].

الشُّعورُ بالنَّدامةِ مُستغرِقٌ للجَماعة

دلالةُ الاستعارةِ في نِداءِ (الوَيلِ) في ﴿يَٰوَيۡلَنَآ﴾:

استعارَ النَّظمُ الكريم بنداءِ (الوَيل) في قولِه تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ﴾؛ لأنَّ الويلَ والهَلاكَ والحُزنَ والثُّبورَ لا يُنادَى؛ لكونِهِ اسمَ

تنزيلُ الهَلاكِ مَنزلةَ العاقلِ تصويرٌ للبَلاءِ الكامِل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 87 - 88.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 88.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 88.

معنى لا اسمَ ذات، لكنَّ النَّظمَ الكريم شبَّهَ الويلَ والهلاك بذاتٍ يَصِحُّ نداؤُها، ثمَّ حذفَهُ، وأبقى من خواصِّه ولوازمِهِ (يا) النِّداء، والغرضُ منَ الاستعارةِ إضفاءُ العقلِ والاستجابة على هَلاكه وحُزنه؛ لكي يُقبلا، فيُغيثا، ويواسيا المُناديَ، كما أنَّ في نداءِ (الويل) وهلاكِ النَّفس وحُزنِها إشارةً إلى أنَّه لم يَبقَ مَن يُجيب نداءَ المُنادي إلّا الويلُ والحُزن والخسارةُ، قال القنّوجيُّ: "هذا وقتُ حُضورِك إلينا ومُنادمتِكَ لنا، فإنَّه لا نديمَ لنا الآنَ غيرُك"[1]، ففيه كمالُ الفقرِ والاحتياجِ للمُعين، وذلك المعينُ لا يُقدِّمُ له إلّا الشُّعورَ بالخَسارة والحُزن والهَلاك، وقال الهرريُّ: "نادَوا على أنفُسِهم بالوَيلِ والثُّبور: (يا هَلاكَنا أقبِلْ إلينا؛ لنتعجَّبَ منك)، أي: قالوا: أقبِلْ أيُّها الهلاكُ، فلا نَستحِقُّ غيرَك"[2].

دلالةُ الإضافةِ في ﴿يَٰوَيۡلَنَآ﴾:

أضافَ النَّظمُ الكريمُ (الوَيل) إلى ضميرِ المُتكلِّمين، في قولِهِ تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ﴾؛ للدَّلالة على تعيينِ ذلك الويلِ المُنادَى بإضافتِهِ إلى أنفُسِهم، فهُم يُنادونَ ويلًا مُتعلِّقًا بهم، مُنتسِبًا إليهم، وذلك الويلُ هو حُزنُهُم الكبير، وهلاكُهُم الخَطير، وفي النِّسبة إليهم بالإضافةِ إشارةٌ إلى تجرُّدِهم من كلِّ مُعينٍ يُنسَبُ إليهم إلّا وصفُ الويلِ بدلالاتِهِ على الخَسارة والهَلاك.

إضافةُ الحُزنِ والهَلاك يُفيدُ عظيمَ البَلاءِ بالمَلَك

دلالةُ الكنايةِ في نِداءِ (الويل) في ﴿يَٰوَيۡلَنَآ﴾:

كنَّى النَّظمُ القرآنيُّ بنداءِ (الوَيل) - وهو لا يَعقلُ - في قولِهِ تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ﴾ عن استعظامِ الجُرم الَّذي اقترفوهُ؛ إذ يَلزمُ من النِّداءِ للهَلاك أنْ يُغيثَهُم، أوْ يُقبِلَ إليهم، أوْ يَتعجَّبوا من فَخامتِهِ أنَّهُم استعظَموا ذَنبَهُم، وخشوا منه أنْ يكونَ مُعرِّضًا لهم للتَّلَف، كما أُتلِفَتْ جنَّتُهُم.

استعظامُ الذَّنب مفتاحٌ لكشفِ الكَرْب

(1) القنوجيّ، فتح الرّحمن: 14/ 268.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 98.

دلالةُ التَّوكيدِ بـ (إنَّ):

توكيدُ الإقرار لإظهارِ التَّوبةِ بالإشهار

أكَّدَ النَّظمُ الكريم الجملةَ الاسميَّةَ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾؛ للدَّلالة على تقريرِ حالِهم وتأكيدِ طَغواهُم وظُلمِهم لأنفُسِهم، فهم وإنْ كانوا لا يَشكّونَ في ظُلمهم وطَغواهم، إلّا أنَّهم أكَّدوا ذلك لمزيدِ التَّقريرِ والاهتمام بما يُسندونَهُ لأنفسِهم في مقام الاعتراف وتأنيبِ الضَّمير، وتوكيدُ الإقرار بالذَّنب من أركانِ التَّوبةِ وأعمَدتِها الرَّئيسة، ويصحُّ أنْ يكون تعليلًا لجوابِهم بنداءِ (الويلِ) والهَلاك؛ إذ لا يُناديهِ إلّا الطُّغاةُ والمُتجاوزون على مَقام الأوامرِ والنَّواهي الإلَهيَّة، قال الهرريُّ: "بيَّنوا علَّةَ هذا الدُّعاء بقولِهم: ﴿إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾، أي: عاصينَ مُتجاوزينَ حُدودَ الله بمَنعِ الفُقراء وتركِ الاستثناء"[1]، وقدَّم النَّظمُ الكريمُ المُسندَ إليه (نا) على الجملةِ الفعليَّةِ الواقعةِ خبرًا؛ للدَّلالة على التَّوكيد والتَّقويةِ للحُكم على حدِّ (أنا فعلتُ كذا).

دلالةُ الإخبارِ بجملةِ الفعلِ النّاقص (كان):

تأصُّلُ الطُّغيان مُؤذِنٌ بالحِرمان

أخبرَ النَّظمُ الكريم بجملةِ الفعلِ النّاقص (كانَ) ماضيًا، في قولِه تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾؛ للدَّلالة على الاتِّصافِ بالطُّغيان على سبيلِ الثُّبوت والتَّمكُّن والاستقرارِ والتَّحقُّق، ولذا لم يقُلِ النَّظمُ: (إنّا طاغونَ)؛ إذ لا يُفيدُ حينَئذٍ إلّا الاتِّصافَ بالطُّغيان، وأمّا تصديرُ ذلك بالفعلِ النّاقصِ الدّالِّ على الوجودِ والثُّبوت؛ فإنَّه يُفيدُ أنَّ الطُّغيانَ مُتحقِّقٌ فيهم، وموجودٌ ومُتأصِّلٌ داخلَهُم.

دلالةُ ﴿طَاغِينَ﴾ مادَّةً وصيغةً ومَوقِعًا:

التَّجاوُزُ في الرَّغبات يَقضي بوُقوعِ الاختلالات

جاء خبر (كانَ) بلفظِ ﴿طَاغِينَ﴾، في قولِه تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على الاتِّصاف بالطُّغيان في أزمنةِ الماضي على سبيلِ الثُّبوتِ والاستمرار؛ إذ اسمُ الفاعلِ في هذا المقامِ الدّالِّ على

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 98.

الاعترافِ بمجاوزةِ الحَدِّ دالٌّ على الاتِّصاف بالطُّغيانِ على سبيلِ الثَّبات على ذلك، وفي الإخبارِ عن الماضي بلفظِ (اسم الفاعل) الدّالِّ على الحاضِرِ في الحقيقةِ ما يفيدُ استحضارَ الماضي وحكايتَهُ، وكأنَّه يقعُ الآن، والطُّغيانُ يفيدُ مُجاوزةَ الحدِّ مُجاوزةً عميقةً، وأصلُهُ مِن طُغيانِ الماء ومُجاوزتِهِ حدًّا يُؤدّي إلى الإتلافِ والتَّخريبِ والاختلال، "أي: اعتَدَينا، وبَغَينا، وطَغَيْنا، وجاوَزْنا الحَدَّ حَتَّى أصابَنا ما أصابَنا"[1]، وكلُّ شيءٍ جاوزَ حدَّهُ أوقعَ في الإفراطِ والتَّخريب، فيكونُ ظُلمُهُم مُؤدّيًا إلى الإتلاف، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ ما حلَّ بجنَّتهم من تلفٍ واحتراقٍ ودمارٍ طغيانٌ في الاختلالِ؛ لأنَّهم تجاوَزوا في ظُلمهم، وطغَوا فيه، فحدثَ الاختلالُ في رغَباتهم ممّا أحدثَ الاختلالَ في حَرْثِهم، والتَّعبيرُ بـ(الطُّغيان) بعدَ التَّلاوُمِ في التَّفريطِ بحقوقِ الفُقراء يَرسُمُ صورةً من صوَرِ الطِّباق الخفيِّ، معناها: الإفراطُ في التَّفريط.

دلالةُ الفعلِ ﴿عَسَىٰ﴾ والغَرَضُ مِنهُ:

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بفعلِ التَّرجّي ﴿عَسَىٰ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا﴾؛ للدَّلالة على إنشاءِ التَّرجّي وإيجادِهِ، فهو وإنْ كانَ فعلًا ماضيًا باعتبار وضْعِهِ، إلّا أنَّه بسببِ دلالتِهِ على الإنشاءِ صارَ حالًا بالنِّسبةِ لزمنِ الكلام، وبذلك جمَعوا بينَ الخوفِ المُتمثِّلِ بتسبيحِ اللّه والاعترافِ بالظُّلم والطُّغيان، وبينَ التَّرجّي من اللّه ذي المَنِّ والفضلِ والإحسان أن يُعوِّضَهم خيرًا عمّا خَسِروه من أموالٍ وخَيرات.

الجمعُ بينَ الخوفِ والرَّجاءِ لتحقيقِ التَّوبةِ الغرّاء

نُكْتَةُ فصلِ جملةِ الرَّجاء ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ﴾:

لمّا كانَ الفعلُ ﴿عَسَىٰ﴾ دالًّا على الإنشاءِ، في قولِهِ تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا﴾، فصلَ النَّظمُ الكريمُ بينَ جُملتِهِ وما قبلَها؛ لتخالُفِهما

التّائبُ إلى اللّه لا يَقنَطُ مِن رَحمةِ مَوْلاه

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 197.

خبرًا وإنشاءً، لفظًا ومعنًى، وإنْ كان التَّرجّي متَّصلًا بما قبلَهُ من جهةِ كونِ التّائبِ لا يقنَطُ من رَحمة اللّه، وقَبولِهِ وتعويضِهِ خيرًا ممّا عاقبَهُ به، فهو استئنافٌ لتحقيقِ مَعنى الرَّجاء بعدَ الاعتراف بوقوعِ الظُّلم والطُّغيان، قال ابن عاشور: "ثُمَّ استَأنَفوا عَن نَدامَتِهم وتَوبَتِهم رَجاءَهُم مِنَ اللّه أنْ يَتوبَ عَلَيهِم، فَلا يُؤاخذَهم بِذَنْبِهم في الآخِرَةِ ولا في الدُّنْيا، فَيَمْحو عِقابَهُ في الدُّنْيا مَحْوًا كامِلًا، بِأن يُعَوِّضَهُم عَن جَنَّتِهِمُ الَّتي قُدِّرَ إتلافُها بِجَنَّةٍ أُخْرَى خيرٍ مِنها"[1].

عِلَّةُ التَّعبيرِ بلفظِ (الرَّبِّ):

الرُّبوبيَّةُ تُناسِبُ سِياقَ المُترجّي للخيريَّة

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بلفظِ (الرَّبِّ)، في قولِهِ تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ﴾ دونَ اسم الجَلالة؛ للدَّلالة على التَّوافُقِ بينَ لفظِ (الرَّبِّ) الدّالِّ على التَّربيةِ والتَّبليغِ للشَّيءِ من النُّقصانِ إلى الكمالِ شَيئًا فشيئًا، والسّيادةِ ومُطلَقِ التَّصرُّف في الأشياءِ، وبينَ مَطلوبِهم منَ التَّعويضِ بالخيرِ عمّا فقدوه، فيكونُ معناه أنسبَ بحالِهم المُترجّي من صاحبِ العَظَمة وكاملِ الرُّبوبيَّة، وأعادَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ (الرَّبِّ) بعدَ ذكرِه في مقامِ التَّنزيهِ والتَّخلية من قوله: ﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ﴾؛ ليكونَ ذكرُهُ في مقامِ التَّحليةِ والتَّعويضِ، فيكون اعترافًا بالرَّبِّ الحقيقيِّ المُنَزَّهِ عن سِماتِ النَّقص، والواهبِ للعَطايا والخَيرات معًا.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿رَبُّنَآ﴾:

دلالـةُ الافتقارِ أدعـى لتحقيقِ المُترَجَّى المُختار

أضافَ النَّظمُ الكريم لفظَ (الرَّبِّ) إلى ضميرِ المتكلِّمينَ، في قولِهِ تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا﴾؛ للدَّلالةِ على التَّخصيصِ والتَّعيينِ للرَّبِّ الحقيقيِّ المُتميِّزِ عن الأربابِ الباطلة؛ إذ في مقامِ الاعترافِ والنَّدامة والتَّوبةِ والتَّحسُّر يَلجأُ العبدُ إلى الرَّبِّ الحقيقيِّ الكاملِ التَّصرُّف، فتكونُ الإضافةُ للتَّخصيصِ والتَّعيينِ للرَّبِّ الحقيقيِّ عمّا عداهُ، كما يكتسبُ المضافُ إليه من المضافِ شُعورًا بالعبوديَّة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 88.

والافتقار، وذلك أدعى لتحقيقِ المُترجَّى منه، ولفظُ (الرَّبِّ) مُعلِّلٌ للتَّرجّي منه، ففيهِ تعليقُ رَجاءِ الإبدالِ بالخيرِ من الجنَّة بكونِهِ ربًّا.

مَعنى ﴿أَن﴾ والغرَضُ مِنها:

التَّرجّي في المُستقبَل لتحقيقِ المُتأمَّل

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بلفظ ﴿أَن﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا﴾؛ للدَّلالة على الاستقبالِ المَطموعِ في تحقُّقِه المترجَّى حصولُهُ، وهي حرفٌ مصدريٌّ تؤوَّلُ هي وما بعدَها بمصدرٍ خبرٍ لاسم ﴿عَسَىٰ﴾، تقديرُه: (إبدالَنا)، وإنَّما عبَّر بالمؤوَّل دونَ الصَّريح؛ للدَّلالةِ على أنَّ الإبدال المطلوبَ تحقُّقُه واقعٌ على سبيلِ التَّحقُّق؛ لما في لفظِ الفعلِ الذي تدخلُ عليه ﴿أَن﴾ من دلالةٍ على الحدَثِ دلالةً فعليَّةً، بخلافِ دلالةِ المصدرِ عليه؛ لوجودِ عُنصُرِ الزَّمن.

دلالةُ الفعلِ المُضارع ﴿يُبْدِلَنَا﴾ مادَّةً وصيغةً:

الكَرَمُ الإلهيُّ لا يُحَدُّ، والنِّعمةُ منهُ لا تُعَدُّ

عبَّرَ النَّظم الكريم بالفعلِ المُضارع (يُبدِلُ)، في قولِهِ تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا﴾؛ للدَّلالة على حدوثِ الإبدالِ على سبيلِ التَّجدُّد والتَّكرُّرِ في المستقبل؛ إذ ما مِن إبدالٍ بنعمةٍ إلّا وهنالك إبدالٌ أعلى منهُ كرامةً وحبورًا، والفعلُ المضارع مزيدٌ بالهمزةِ؛ للدَّلالة على المبالغةِ في تغييرِ الأحوالِ والذَّوات، والتَّعويضِ بأفضلَ من المَأخوذ، ويدلُّ الفعل (يُبدِلُ) على أنَّ الحالَ التي لابَسوها من الحِرمان والخَسارة للأموالِ تُؤخَذُ بالإزالةِ لها، والتَّعويضِ بالرِّبح والنِّعمة في موسِمٍ آخرَ.

تنوُّعُ القراءاتِ في ﴿يُبْدِلَنَا﴾:

الإبدالُ رفعٌ بالجُملة، والتَّبديلُ تغييرٌ بالذّاتِ أوِ الصِّفة

قُرِئَ فعلُ الإبدالِ من قولِهِ تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾ بزيادةِ الهَمزة على الثُّلاثيِّ المجرَّدِ منَ (الإبدال)، أوْ بالتَّضعيف ﴿يُبَدِّلَنَا﴾ منَ التَّبديل، "فقد قرأ الجمهور بالتَّخفيف: ﴿يُبْدِلَنَا﴾، وقرأ نافعٌ وأبو عَمرٍو بالتَّشديدِ: ﴿يُبَدِّلَنَا﴾[1]، وهُما لُغتانِ"[2]، والفرقُ

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 314.

(2) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 10/ 18، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 351.

بينَهُما على ما قالَهُ الهرريُّ أنَّ: "الإبدالَ: رفعُ الشَّيءِ جُملةً، ووضعُ آخرَ مَكانَهُ، والتَّبديلَ: تغييرُ ذاتِ الشَّيء أو تغييرُ صِفتِهِ"[1]، وقال ابنُ الجوزي: "التَّبديلُ: تغييرُ حالِ الشَّيءِ وصفتُهُ والعَينُ باقيةٌ، والإبدالُ: إزالةُ الشَّيءِ ووضعُ غيرِهِ مَكانَهُ"[2]، والَّذي يتبيَّنُ لنا أنَّ التَّبديلَ والإبدالَ يُستعملانِ في التَّغييرِ الذّاتيِّ والوصفيِّ والإزالةِ، لكنَّ التَّبديلَ على وجهِ السُّرعةِ، والإبدالُ قد يتأخَّرُ.

دلالةُ حذفِ المُضاف لضميرِ المتكلِّم في ﴿يُبْدِلَنَا﴾:

مِن شدَّةِ الشَّرِّ العاتي تعلَّقَ الإبدالُ بالذّواتِ

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بضميرِ المتكلِّم ومعَهُ غيرُهُ، في قولِهِ تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا﴾؛ للدَّلالة على الحالِ السَّيّئ والحِرمان المتلبِّسِ بهم أو الجنَّةِ المُحترقةِ؛ إذِ الإبدالُ لا يكونُ لذواتهم بالخيرِ، وإنَّما يتعلَّقُ بإبدالِ حالِهِم بحالٍ خيرٍ منها، أو جنَّتِهم المُحترقةِ بجنَّةٍ أُخرى، فيكونُ هنالك مضافٌ محذوفٌ دلَّ عليه المُبدَلُ به، وإنَّما حذفَ حالَ الشَّرِّ وحالَ الجنَّة مُبالغةً بقيامِ الشَّرِّ بهم وبها، وكأنَّهم مُحتاجونَ إلى إبدالٍ لذَواتِهم.

دلالةُ ﴿خَيْرًا﴾ تنكيرًا وصيغةً:

الاتِّصافُ بالخيريَّةِ دليلُ قَبولِ التَّوبةِ النَّقيَّة

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بلفظِ (الخير) نكرةً، في قولِهِ تعالى: ﴿أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾؛ للدَّلالة على التَّعظيم والتَّفخيم لذلك الخيرِ المُرتجَى حصولُهُ، والمطموعُ نيلُهُ، وقد وقعَ ﴿خَيْرًا﴾ مفعولًا به ثانيًا؛ ليكونَ بديلًا عن جنَّتهم الَّتي خَسِروها، فالخيريَّة إمّا بتبديلِ حالِها بحالٍ خيرٍ منها، أوْ بتبديلِ ذاتِها بذاتِ جنَّةٍ أُخرى، وعلى كلٍّ فإنَّ ﴿خَيْرًا﴾ اسمُ تفضيل، لتفضيلِ الجنَّة البديلةِ على الجنَّة قبلَ الاحتراق، لا بعدَ الاحتراق، وإلّا لزِمَ تحقُّقُ خيريَّةٍ فيها، واختارَ النَّظم لفظَ (الخيريَّة)؛ للدَّلالة على معنًى جامعٍ لصوَرِ الخيرِ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 98.
(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 4/ 324.

ومَصاديقِهِ العَديدة؛ إذ كلُّ مالٍ وربحٍ وأثمارٍ، بل وجنَّةٍ في الآخرةِ يصدقُ عليها أنَّها خيرٌ.

دلالةُ تعلُّقِ الجارِّ والمَجرور ﴿مِّنْهَآ﴾:

استمرارُ الخيريَّةِ إلى صورٍ لا نهائيَّة

علَّقَ النَّظمُ الكريم الجارَّ والمجرورَ من قولِهِ تعالى: ﴿أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾ بلفظِ ﴿خَيْرًا﴾؛ لبيانِ المفضَّلِ عليه، وهي جنَّتُهم قبلَ الاحتراق، وفائدةُ التَّعبير بـ(مِن) الدَّلالةُ على أنَّ الخيريَّةَ تبدأُ من جنَّتِهم ولا تَنتهي إلى حدٍّ في الخيريَّة.

سرُّ فصلِ جُملةِ: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾:

التَّرجّي المُعلَّل بالرَّغبِ إلى العَطاءِ المُذلَّل

فصلَ النَّظمُ الكريم الجملةَ الاسميَّة في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّعليلِ لحُكم ما قبلَها؛ إذ ترجّي تبديلِ الجنَّة بجنَّةٍ أفضلَ منها مُعلَّلٌ بكونِهم راغبينَ إلى عطاءِ اللهِ ومِنَّتِهِ وفضلِهِ؛ فالجملةُ الثّانية استئنافٌ تعليليٌّ مُسبَّبٌ عمّا قبلَها، في حين رأى ابنُ عاشورٍ أنَّ: "جُمْلَةَ ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ بَدَلٌ مِن جُمْلَةِ الرَّجاءِ، أي: هو رَجاءٌ مُشتَمِلٌ على رَغبَةٍ إلَيهِ بِالقَبولِ والاستِجابَةِ"[1].

دلالةُ التَّوكيدِ بـ(إنَّ):

توبة المفتقرين بالتَّذلُّل لعطاء ربِّ العالَمين

أكَّدَ النَّظمُ الكريم الجملةَ الاسميَّةَ بـ(إنَّ)، في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾؛ للدَّلالة على الاهتمامِ بالحُكم المُتضمِّنِ رغبتَهُم بعطاءِ اللهِ تعالى، وتحقيقِ صحَّةِ توبتِهم بإعلانِ افتقارهم إلى عطاءِ اللهِ، بعدَ أنْ تجاسَروا، وبَخِلوا بالعطاءِ للفقراءِ، وظنّوا أنَّ ذلك عطاؤُهم، مع أنَّ صاحبَ المالِ مُسخَّرٌ في منحِ الفُقراء حصَّتَهم مِن عطاءِ اللهِ تعالى لَهُ.

معنى حرفِ الجرِّ ﴿إِلَىٰ﴾، والغرضُ منه:

انحصارُ النِّهاية بما لا يُحَدُّ بِغاية

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بحرفِ الجرِّ ﴿إِلَىٰ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾؛ للدَّلالة على الانتهاءِ والغاية، فتكونُ غايةُ رَغبتِهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 88.

مُنتهيةً باللّه تعالى، وفي النَّظم طباقٌ بينَ (مِن) و(إلى) في قوله: ﴿خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾؛ إذ تبدأُ رغبةُ الخيرِ من جنَّتهم؛ لتنتهيَ بعطائِهِ الواسِعِ العَميم؛ لتمتدَّ الخيريَّةُ إلى ما لا نهايةَ له؛ إذ كرمُه لا ينحصِرُ، ولا يحدُّ، ولا يُعَدُّ.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿رَبِّنَا﴾:

تعليلُ الرَّجاءِ والرَّغبة بالرَّبِّ ذي السِّيادةِ والنِّعمَة

أضافَ النَّظمُ الكريم لفظَ (الرَّبِّ) إلى ضميرِ المتكلِّمين مرَّةً ثالثةً، في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾؛ لمُناسبتِهِ لمقام الرَّغبة بالعَطاء؛ إذِ الرَّبُّ هو الَّذي يتولَّى التَّربيةَ والإحسانَ لعبادِهِ، والعطاءُ من خصائصِ التَّربيةِ والتَّكميلِ للنُّقصان وسدِّ الحاجةِ، وليَكتسبَ المضافُ إليهِ منَ المضافِ تشريفًا وتكريمًا، وليكون تكرارُ الرَّبِّ بعدَ الرَّجاءِ منه والرَّغبةِ إليه؛ توكيدًا لحالةِ الاحتياجِ وتَعليلًا؛ إذ كلٌّ من العِلَّة والمعلول مُستندانِ إلى الرَّبِّ تعالى، فيكونُ من تعليقِ الحُكم بالمشتقِّ؛ للدَّلالةِ على عِلِّيَّةِ مَبدأِ الاشتقاقِ.

نُكْتَةُ تقديمِ المتعلَّق ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا﴾:

انحصارُ العَطاء بكرَمِ ربِّ الأرضِ والسَّماء

قدَّمَ النَّظمُ الكريم الجارَّ والمجرورَ المُتعلِّقَ بالخبرِ ﴿رَٰغِبُونَ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾؛ للدَّلالة على الحصرِ الحقيقيِّ لصفةِ الرَّغبة في المَوصوف، بمعنى أنَّ الرَّغبةَ منحصرةٌ باللّه تعالى لا بأحدٍ ممّا سواه، قال البقاعيُّ: "أي: المُحسِنُ إلينا والمُربّي لنا بالإيجادِ ثمَّ الإبقاءِ خاصَّةً، لا إلى غيرِهِ سُبحانه"[1]، ومعنى انتهاءِ الرَّغبة باللّه وانحصارِها فيه في مقامِ تَرجّي الإبدالِ الرَّغبةُ في العطاء والفضلِ الإلهيِّ؛ إذ أظهَروا حاجتَهم إلى عطاءِ اللّه تعالى وفضلِهِ دونَ عطاءِ غيره، فهو المُتفضِّلُ والمُعطي على سبيلِ الحقيقةِ، قال الماتريديُّ: إنّا "إلى ما عندَ ربِّنا منَ العَطايا والمِنَنِ لراغبونَ"[2].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 315.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 10/ 149.

دلالةُ الخبرِ ﴿رَاغِبُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

للهِ تعالى المَيلُ الأكيد والحُبُّ الشَّديد

أخبرَ النَّظمُ الكريمُ عنِ اسمِ (إنَّ)، بقولِه تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾؛ للدَّلالة على الميلِ الأكيدِ والسَّيرِ الحثيث إلى جنابِ اللّٰه وعطائِهِ دونَ ما سِواه، وفي الرَّغبة محبَّةٌ واشتياقٌ بعدَ هِجران مِنهم وقطيعةٍ، فتكونُ المحبَّةُ أكيدةً، ويكونُ الشَّوقُ أعمقَ، ودلَّتْ صيغةُ الفاعلِ على الاتِّصاف بالرَّغبة اتِّصافًا ثابتًا ودائمًا.

دلالةُ التَّضمينِ في ﴿رَاغِبُونَ﴾، أوِ الكنايةِ في جُملتها:

السَّيرُ لكَرَمِ المَحبوب بالشَّوقِ المَرغوب

ضمَّنَ النَّظمُ الكريم لفظَ ﴿رَاغِبُونَ﴾ معنى السَّيرِ الممتزج بالحُبِّ والشَّوق، في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾؛ إذِ الفعلُ (رَغِبَ) يتعدَّى بنفسه وبالحرفين (في وعن)، وأمّا تعديتُهُ بـ(إلى)؛ فيكون بتضمينِهِ معنى السَّير إلى المحبوبِ بالشَّوق المَرغوب، فكأنَّه قال: إنا سائرونَ ومائلونَ بحُبٍّ وشوقٍ لعطاءِ ربِّنا وجنابِهِ الكريم، وقالَ البيضاويُّ جامعًا بينَ الكنايةِ أوَّلًا والتَّضمينِ ثانيًا: "راجونَ العفوَ، طالِبونَ الخيرَ، و(إلى) لانتهاءِ الرَّغبة، أوْ لتضمُّنِها معنى (الرُّجوع)[1]، فيجوز أن تكون الجملة: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ كنايةً عن رجاءِ العَفو وطَلَبِ الخير، "وهذا معنى الرَّغبةِ إلَى اللّٰه تعالى، لا سيَّما إذا كانت الرَّغبةُ نُسِبتْ إليه تعالى بلا تعيينِ المَرغوبِ فيه"[2]، فلو عُيِّنَ المرغوبُ فيه بتقديرِ المُضاف كـ(العطاءِ)، فإنَّ الرَّغبة تكونُ حقيقيَّةً، وأمّا عندَ عدمِ تقديرِ المُضاف المَحذوف، فإنَّ الرَّغبةَ إلى اللّٰه تكونُ كنايةً عمّا ذُكِرَ، والحاصلُ: أنَّ (الرَّغبة) إمّا أنْ تتضمَّنَ معنى الرُّجوع، أو أنْ تبقَى بلا تضمينٍ؛ فإنْ قُدِّر مضافٌ في ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا﴾، أي: عطائِهِ، فلا كنايةَ، وإنْ لم يُقدَّر؛ فالكنايةُ حاصلةٌ.

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 236.

(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 239.

دلالةُ الانتقالِ عندَ الاعتِراف:

الخَوفُ والرَّجاء وسيلتانِ للتَّوبةِ مـنَ الـذَّنـوبِ العَوجاء

تنقَّلَ النَّظمُ القرآنيُّ في حكايةِ اعترافهم أوَّلًا بالظُّلم والطُّغيان، وإنابتِهم ورُجوعِهم ثانيًا إلى ساحةِ الرَّحمةِ والرِّضوان، في قولِه تعالى أوَّلًا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، وقولِه ثانيًا: ﴿إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾، وقولِه ثالثًا: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾؛ إذ بدأ بالاعترافِ بالظُّلم مُطلقًا، وهو يتعلَّقُ بجانبِ تركِ الأوامرِ الإلهيَّة مطلقًا، ثمَّ قدَّموا اعترافًا بالمُجاوزة والتَّعدّي، فكانوا طُغاةً ومُستكبرين ومُتجاوزينَ كلَّ الحدود، ثمَّ أنهَوا ذلك بالرُّجوع والميلِ والرَّغبة بما عند الله قولًا وعملًا، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه حالُ التّائب، فيَجْمعُ بين الخوفِ مِن ظُلمه وطُغيانه، وبينَ رجائِهِ بقَبولِ توبتِهِ وإنابتِهِ.

دلالةُ (الإطنابِ) في عرضِ القصَّة:

التَّـعـريـض بإكمالِ القصَّةِ للتَّحضيض

أطنبَ النَّظمُ الكريم في حكايةِ المثلِ بأصحابِ الجنَّة، فذكرَ بعدَ نزولِ العذابِ بهم نتيجةَ إعراضِهم عن الحقِّ - وهي غايةُ التَّمثيل- حِوارَهُم واعترافَهُم وتوبتَهُم ورَجاءَهُم في قولِه تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ ... ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾؛ للدَّلالة على التَّحريضِ والوَعْظِ لأهلِ مكَّة، بأنَّهم إن تابوا، وأصلَحوا؛ فإنَّ الله تعالى يرفَعُ عنهم البلاءَ، ويَقيهم من السَّيِّئات، ويَمنحُهم البُلدان والخيرات، قال ابن عاشور: "والمَقصودُ مِنَ الإطنابِ في قَولِهِم بَعدَ حُلولِ العَذابِ بِهِمْ تَلْقينُ الَّذينَ ضُرِبَ لَهُم هذا المَثَلُ، بِأنَّ في مُكْنَتِهِمُ الإنابَةَ إلَى اللّه بِنَبْذِ الكُفرانِ لِنِعْمَتِهِ؛ إذْ أشْرَكوا بِهِ مَنْ لا إنْعامَ لَهُمْ عَلَيهِ"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحَرامُ والمنعُ والرَّدُّ:

الأسـبـقـيَّـة واللّاحقيَّة

الحرامُ: هو المنعُ منَ الأصلِ وقبلَ أنْ يوجَدَ، ويبدوَ، فمعنى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 88.

(حُرمةِ الرِّبا) ممنوعيَّةُ ظهورِهِ ووُجودِهِ، والمحرومُ مَن كانَ من الأصلِ مَمنوعًا لم يَصِلْ إلى الخير.

وأمّا المنعُ؛ فهو ناظرٌ إلى ما بعدَ الظُّهورِ والوُجود، يقال: مُنِعَ عن مَشيِهِ أو تحصيلِهِ أو كلامِهِ؛ إذا وُجِدَ المُقتضي لها، وإنْ لم تكُن مُتحقَّقةً.

وأمّا الرَّدُّ؛ فهو المنعُ بعدَ الجَرَيان والعمَل[1].

ولذا عبَّرَ النَّظمُ بلفظِ ﴿مَحْرُومُونَ﴾ دونَ (مَمنوعونَ أوْ مَردودونَ)؛ للدَّلالة على المَنع مِن أوَّلِ الأمر، فلم يَصِلْ لهُم الخيرُ منذُ البداية، وذلك أعلى في عدمِ التَّمتُّعِ بالخيراتِ والحِرمان الأعظمِ الَّذي أصابَهُم.

الذَّمُّ واللَّوم والعَتَب:

الفرقُ بينَ (الذَّمِّ واللَّوم): أنَّ اللَّومَ هو تنبيهُ الفاعلِ على مَوقِعِ الضَّررِ في فعلِهِ وتهجينِ طريقتِهِ فيه، وقد يكونُ اللَّوم على الفعلِ الحسَن، كاللَّوم على السَّخاء، والذَّمُّ لا يكونُ إلّا على القبيح، واللَّومُ أيضًا يواجَهُ به المَلوم، والذَّمُّ قد يواجَهُ بهِ المذمومُ، ويكونُ دونَه، تقول: حَمَدتُ هذا الطَّعامَ، أوْ ذممتُهُ.

اللَّومُ بينَ العِتاب والتوبيخ، وأعمُّ مُطلقًا منَ الذَّمِّ

والفرقُ بينَ (العِتاب واللَّوم): أنَّ العتابَ هو الخطابُ على تضييع حقوقِ المَودَّة والصَّداقة في الإخلالِ بالزِّيارة وتركِ المَعونةِ وما يُشاكِلُ ذلك، ولا يكونُ العتابُ إلّا ممَّن له مَواتٍ يَمُتُّ بها، فهو مفارقٌ للَّوم مُفارقةً بيِّنةً[2]، وفرَّقَ ابنُ عاشور بينَ (اللَّوم) من جهةٍ، و(العتابِ والتَّوبيخ) مِن جهةٍ أُخرى، بأنَّ اللَّومَ حالةٌ مُتوسِّطةٌ، فلا يرقَى إلى التَّوبيخ، ولا يَنزِلُ إلى العِتاب[3]، ولذا عبَّرَ النَّظمُ في الآيةِ بالتَّلاوم في قولِه: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾، دونَ (يَتذامّونَ أوْ

(1) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 2/ 189.
(2) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 10/ 244.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 88.

يُعاتِبونَ أوْ يوبِّخون)؛ لأنَّ الَّذي وقعَ منهم تنبيهٌ على موقعِ الضَّرر الَّذي أدّى إلى الحِرمان، وكانَ بالمواجهةِ، ولم يصل إلى التَّوبيخ، ولم يَهبِطْ إلى العتاب.

الرَّغبةُ والميلُ والشَّوق:

الميلُ ثمَّ الرَّغبةُ ثمَّ الشَّوق

(الرَّغبةُ): المَيلُ الأكيدُ، و(الشَّوقُ): هو الرَّغبةُ الأكيدة، و(المَيلُ) مُجرَّد رغبةٍ من دونِ وكادةٍ، فظهر أنَّ (الميلَ والرَّغبة والشَّوق) تختلفُ من جهةِ الشِّدَّةِ والضَّعف، ويجمعُها التَّمايُلُ، وهو عامٌّ في المكروهِ والمَمدوح، وفيما يُرى، وما لا يُرى[1]، وعبَّر النَّظمُ في قوله: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾، بالرَّغبة دونَ المَيل والشَّوق؛ لأنَّهم أرادوا ميلًا أقوى من دونِ دلالةِ الشَّوق؛ لأنَّ الرَّغبة هنا في العوَضِ والبدَل عن تلك الجنَّة.

البَدلُ والعِوَضُ:

العوضُ أخصُّ مُطلقًا من البَدَل

قال العسكريُّ: "الفرقُ بينَ العِوَض والبدَل: أنَّ العِوَضَ ما تعقَّبَ بهِ الشَّيءُ على جهةِ المُثامَنة، تقولُ: هذا الدِّرهمُ عوضٌ مِن خاتمِك، والبدلُ ما يقامُ مُقامَهُ، ويوقَعُ مَوقِعَهُ على جهةِ التَّعاقُبِ دونَ المُثامَنة، يقالُ: إنَّه بدَّلَ نعمتَهُ كُفرًا؛ لأنَّه أقامَ الكُفر مقامَ الشُّكر، ويجوز أن يُقال: العِوَض هوَ البَدَل الَّذي ينْتَفع بِهِ، وإذا لم يَجْعَل على الوَجْه الَّذي ينْتَفع بِهِ؛ لم يسمَّ عِوَضًا، والبَدل هوَ الشَّيء المَوْضوع مَكان غَيره؛ لينْتَفع بِهِ أوْ لا"[2].

(1) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 4/ 160.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 238.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والستون،
سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 63 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-00-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 63 : المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-00-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7111585 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"